الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريريج
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل:

الشعبة: دراسات أدبية

التخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

عنوان المذكرة:

التناص القرآني في رواية أنا يوسف لـ أيمن العتوم
- مقاربة في التوارد والتوظيف -

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر

إعداد الطالبتين:

- إشراق بن سالم
- راضية بن اسعيد

تحت إشراف:

عبد السميع موفق

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	المؤسسة الأصلية	الصفة
بلقاسم ذوادي	أستاذ التعليم العالي	برج بوعريريج	رئيساً
عبد السميع موفق	أستاذ محاضر أ	برج بوعريريج	مشرفاً ومقرراً
إبراهيم قادة	أستاذ محاضر أ	برج بوعريريج	ممتحناً

السنة الجامعية

1444-1445هـ / 2022-2023م

بسم الله الرحمن الرحيم

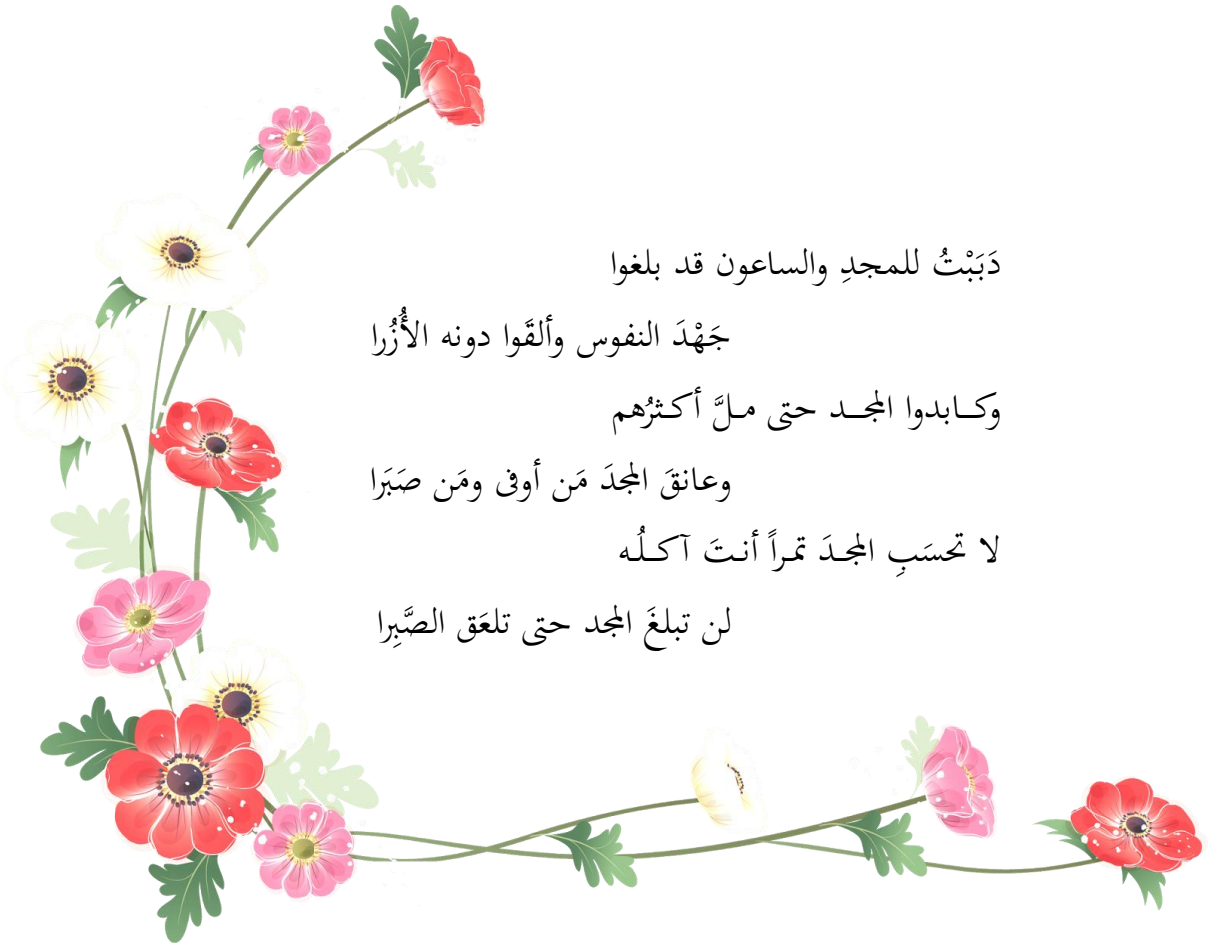

دَبَبْتُ للمجدِ والساعون قد بلغوا

جَهْدَ النفوس وألقَوا دونه الأُزُرا

وكـابدوا المجـد حتى مـلَّ أكـثرُهم

وعانقَ المجدَ مَن أوفى ومَن صَبَرا

لا تحسَبِ المجـدَ تمراً أنـتَ آكـلُه

لن تبلغَ المجد حتى تلعَق الصَّبِرا

شكر وعرفان:

حمداً لله ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك، وعظيم سلطانك،
عدد خلقك، ورضا نفسك، وزنة عرشك، ومداد كلماتك
فلله الحمد والمنة

نتقدم بالشكر الجزيل إلى من لم يبخل علينا
بتوجيهاته ونصائحه وإرشاداته التي أفادتنا في إخراج جهدنا هذا،
إلى الدكتور موفق عبد السميع، أبقاه الله للعطاء وخدمة الأجيال.

كما نتقدم بالشكر الجزيل لكل الأساتذة الذين رافقونا
في مشوارنا الدراسي عامة والجامعي خاصة.
وإلى كل من سعى من قريب أو بعيد في إثراء هذا العمل المتواضع.

إهداء

"وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا"

إلى تلك التي حملت القلم سعياً لتحقيق حلمها الضائع

إلى ذلك الذي مشيت دروب التفوق شوقاً لنظرات الفخر في عينيه...

قرة عيني ونبض قلبي، والدي

إلى رفيق طفولتي وسندي بعد أبي، أخي أنيس

إلى أخواتي الغاليات، هاجر، تسنيم، رتاج

إلى شهاب الدين وعائلته الكريمة

إلى كل من آمن بي ودعا لي وذكرني في سره أو علنه

إلى كل من جمعتني بهم علاقة الصداقة طوال المشوار الدراسي

إلى من مد لنا يد العون وسهل لنا ما حجب في موضوعنا، أستاذنا قادة إبراهيم

بن سالم إشراق

إهداء:

إلى المثقف الذي سيبحث عن موضوع أطروحتي...

أهديك بحثي وسلامي وتحياتي.

أهديك تعبي وعلمي وعملي.

أهديك ثمرة مجهودي لعلها تكون بذرة لمشروعك العلمي.

إلى أبي الذي رسمني وأمي التي لونتني.

إلى من تعلمت على يديه مواجهة الحياة حلوها ومرها والدي الفاضل "المبروك"...

إلى الصدر الحاني والقلب الرحيم، الحضن الدافئ،

أمي العزيزة "ليلى" بطلتي الوحيدة واستقامة ظهري... إلى سندي في حياتي إخوتي

نجاة، هدى، مرام، يعقوب

حفظكم الله ورعاكم عائلتي

إلى معلمة القرآن التي أوقدت فيَّ النور بعد الظلام.

كنزة سوالم

إلى من غرسوا في نفوسنا حب العمل وأعطوا بصدق وأغدقوا العطاء،

إلى جميع أساتذتنا وبالأخص الأستاذ: قادة إبراهيم، إلى المعلم الأول، لنورك الذي ملأ القلب باليقين.

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة، إلى خير البرية،

لنا الشرف أننا من أمتك، السلام عليك حياً فينا لا تموت، سنحيا على حبك حتى لقياك.

حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم

بن اسعيد راضية

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات	الرقم
شكر وتقدير	
إهداء	
فهرس المحتويات	
مقدمة	أ–ب
الفصل الأول: النظري	
المبحث الأول: التعريف بالتناص	ص02-06
المطلب الأول: ضبط المصطلحات	ص02
المطلب الثاني: مفهوم التناص لغة واصطلاحاً	ص03
المطلب الثالث: أشكال التناص	ص05
المطلب الرابع: التناص القرآني ومكانته في التناص الأدبي	ص06
المبحث الثاني: التناص: أنواعه، آلياته ومستوياته	ص11-15
المطلب الأول: أنواع التناص	ص11
المطلب الثاني: آليات التناص	ص12
المطلب الثالث: مستويات التناص	ص14
الفصل الثاني: التطبيقي	
المبحث الأول: نماذج من التناص في الرواية (استعمالات الروائي للتناص)	ص17-36
المطلب الأول: التناص الصريح (المباشر لفظاً)	ص17
المطلب الثاني: التناص المؤول (غير المباشر لفظاً)	ص23
المبحث الثاني: استعمالات الروائي للتناص العام والخاص	ص36-44
المطلب الأول: التناص البعيد العام في القصص القرآني	ص36
المطلب الثاني: التناص المباشر الخاص من القصص القرآني	ص40
المبحث الثالث: تقاطعات الرواية مع أنواع أخرى من للتناص	ص44-51
1– التناص النثري	ص44
2– التناص مع الحديث النبوي	ص45

3- التناص الاجتماعي	ص46
4- التناص مع الشعر	ص46
5- التناص مع أسماء الأماكن	ص47
6- التناص مع أسماء الأعلام	ص47
7- التناص مع الأسطورة والمثل	ص47
8- الميتاسرد في الرواية	ص48
خاتمة	ص53
ملحق	ص57
قائمة المصادر والمراجع	ص62

مـــــقـدمـة

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد بن عبد الله وعلى آله الهداة المهديين وصحبه المنتجين وبعد:

مازالت الأعمال الروائية تتلقى رواجاً إلى يومنا هذا، فهي كما سماها أحد النقاد "ديون العصر"، فمن خلال أصنافها تعددت مواضيع طرحها، فمنها ما هو اجتماعي ومنها ما هو خيالي وغيرها من الأصناف، ويُعد التناص من الآليات التي يكثر حضورها في الروايات، فالعلاقة القائمة بين الدين والرواية علاقة معقدة وجدلية كانت مصدراً للاحتفاء ببعض الأدباء وانتقادهم، وعادة ما يركز الدارسون للأعمال الأدبية على إظهار وجهة نظر الكاتب من خلال أعماله، ولذلك لتجلى الخطاب الروائي في الرواية، حيث وجد في الرواية بيئة مناسبة للحضور، فالقرآن الكريم شكل ثراءً أدبياً مهماً، ويبدو أن الأدباء من بينهم "أيمن العتوم" قد اهتموا بتوظيف الرموز الدينية في قالبهم الروائي، فرواية "أنا يوسف" لأيمن العتوم رواية تاريخية أعاد الكاتب فيها تصوير قصة نبي الله يوسف بطريقة أدبية مشوقة.

لقد تمت دراسة موضوع التناص القرآني في هذا العمل تحت عنوان "التناص القرآني في رواية أنا يوسف لأيمن العتوم –مقاربة في التوارد والتوظيف–"

ولقد اخترنا هذا الموضوع "التناص القرآني" لعدو أسباب ألا وهي حبنا وتعلقنا بالنص القرآني، وكيف أن الكاتب أبدع في استحضار قصة من القرآن الكريم وإعادة صياغتها في قالب جديد، وهذا ما دفعنا إلى دراسة الرواية وتحديد مواطن التشابه والاختلاف بين قصة يوسف كما وردت في القرآن وبين المتخيل التاريخي في الرواية، ومعرفة كيف تجلى الخطاب الديني على مستوى الرواية شكلاً ومضموناً، رغم أن القرآن لم يقصر في نقل قصة سيدنا يوسف والتي هي من أحسن القصص كما ورد فيه، لكن كان من الممتع قراءتها في قالب سردي مختلف.

يمكن صياغة الإشكالية التالية:

- مال المقصود بالتناص؟
- كيف تجلى في الرواية؟
- ماذا أضاف الكاتب للرواية؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات، تم اتباع الخطة الآتية: يبدأ البحث بمقدمة. ثم ننطلق في الفصل النظري، فيه تعريفات موجزة عن تسميات التناص المختلفة، وبما أن البحث حول التناص فقد تتبعنا مصطلح التناص عند الغرب والعرب، ومفهومه عند كليهما، وتعرضنا إلى أشكال التناص، أنواعه، آلياته، ومستوياته. أما في الفصل التطبيقي فقد قمنا بتحليل الرواية واستخراج التناص منها بكل أشكاله، الصريح والمؤول العام والخاص، وأنواع أخرى من التناص التي خرجت عن دائرة الخطاب الديني.

أما المنهج المعتمد فهو المنهج الوصفي التحليلي الذي يتناسب مع هذه الدراسة.

من أهم المصادر والمراجع التي بنينا من خلالها بحثنا هي:

- القرآن الكريم.
- رواية يوسف لـ: أيمن العتوم.
- الجامع لأحكام القرآن لـ: القرطبي.
- التناص نظرياً وتطبيقياً لـ أحمد الزغبي.
- صحيحي البخاري ومسلم.

ومن الصعوبات التي واجهتنا هي ضيق الوقت وقلة المصادر والمراجع.

وختاماً، نحمد الله الذي قدرنا على إتمام هذا الموضوع الذي ترك في أنفسنا شعوراً لن ينسى، ومحاولتنا لتقديمه على أكمل وجه وبشكل سليم من الناحية المنهجية، ونشكر أصحاب الفضل الذين كانوا لنا سنداً في إتمام هذا البحث، أستاذنا المشرف موفق عبد السميع. ونرجو أن نكون قد وفقنا في إنجازه على أكمل وجه.

الفصل الأول:

النظري

الفصل الأول: النظري

المبحث الأول: التعريف بالتناص

المطلب الأول: ضبط المصطلحات

التناص:

المراد بالتناص في مجال الأدب الحديث وفيما سيدور في هذا البحث، هو التبادل النصي، وهو أيضاً التداخل، واستخدام النصوص التراثية المختلفة من قبل الشاعر أو الأديب بشكل فني.

المناصة:

وهي البنية النصية التي تشترك مع البنية النصية الأصلية في مقام وسياق معينين مع المحافظة على بنيتها كاملة ومستقلة.[1]

الميتانصية:

نوع من المناصة، لكنها تأخذ بعداً نقدياً محضاً في علاقة بنية طارئة مع بنية نصية أصلية.

السرقة:

ورد هذا المصطلح عند العديد من أصحاب البلاغة والنقاد العرب القدماء، والسرقة هي: أخذ شاعر ما لفظاً أو معنى أو صورة فنية أو شطر بيت أو بيت شعر لشاعر غيره سابق أو معاصر له، فارتبطت ظاهرة التناص عند النقاد القدامى بالسرقات الأدبية، فالشاعر مهما بلغت موهبته الشعرية لابد أن يحمل نفحات من نصوص غيره، وهذا يتطلب براعة الناقد بالكشف عنها، فنشأت فكرة التناص عند العرب في باب السرقات الأدبية والشعرية.

الاقتباس:

أن يظهر الكلام شيئاً من القرآن والحديث ولا ينبه عليه للعلم به.

التضمين:

أن يضمن الشاعر شيئاً من شعره، فيعرفه ابن رشيق القيرواني: قصدك إلى البيت من الشعر، فتأتي به في آخر شعرك أو وسطه.[2]

المعارضة والمناقضة:

المعارضة أن ينظم الشاعر قصيدته على غرار قصيدة أخرى بنفس الموضوع وعلى ذات الروي والقافية، أما المناقضة فهي معارضة مخالفة، أي نفي قصيدة شاعر ما ونقضها ملتزماً بنفس الروي والقافية.[3]

---

[1] شهاب الدين النووي: نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: دار الكتب والوثائق القومية، ص 182.

[2] الحسن بن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح: دار الكتاب والوثائق القومية، ط1، د.ت، ص132.

[3] المصدر نفسه، ص702.

المطلب الثاني: مفهوم التناص:

أ- في المعاجم اللغوية:

التناص مصدر لفعل تناص ومادته (نصص) وردت مادة نصص في العديد من المعاجم العربية، فورد في لسان العرب: النص: رفعك الشيء، ونص الحديث نصاً، وكل ما أظهر فقد نص، ونص المتاع نصاً: أي جعل بعضه على بعض، نص الدابة بينها نصاً: أي رفعها في السير. أما في تاج العروس، جاءت نصص بمعنى انقبض والازدحام، فيقول: انتصل الرجل: أي انقبض، وتناص القوم أي ازدحموا. وفي قاموس المحيط، "نص الحديث: رفعه، ونص الشيء: حركه، نص فلان: استقصى مسألته عن الشيء، ونص الشيء: أظهره، ونص عزيمته وناص: استقصى عليه وناقشه"[1]. يتولد عن مادة نصص عدة دوال لها رموزها الواقعية منها: ينسب الحديث إلى صاحبه وذلك عن طريق متابعته ما عند صاحب الحديث لاستخراج كل عناصره حتى بلوغ منتهاه ومدلول التراكم الذي يقوم على التمايز بجعل الشيء بعضه فوق بعض، ومدلول المفاعلة، فلا يمكن تحقيقها الفعلي إلا إذا توافر التمايز والتعدد على نحو من الإنحناء.[2]

نجد أن المفهوم الاصطلاح للتناص متعدد، وقد يعد أنه مقابل عربي للمصطلح الفرنسي Intertext حيث تعني كلمة Inter التبادل، وأما Text فهي تعني النص، وهو التبادل النصي، أو بعبارة أخرى هو تداخل واستخدام النصوص التراثية المختلفة من قبل الشاعر أو الأديب بشكل فني.[3]

ب- في الاصطلاح:

للحديث عن التناص لابد أيضاً من الحديث عن النص، ففي هذا المحور قبل أن تقدم الباحث مفهوم التناص لغة واصطلاحاً، لابد عليها أن تحضر مفهوم النص لغة واصطلاحاً.

دلت المعاجم العربية على أن النص له معانٍ متعددة، وهي في مجملها تفيد الرفع والحركة والإظهار، وعرفه عبد القادر أبو شريفة وحسين لافي قزق: أما النص فهو صيغة الكلام الأصلية التي وردت من المؤلف، وحين نقول نص الحديث أي متنه لا سلسلة السند، والنص الشعري أي القصيدة أو أي جزء منها يعطي فكرة تامة، وكذلك النص النثري. فمن ذلك يظهر أن النص هو صيغة الكلام الأصلية التي وردت من المؤلف على شكل جهاز نقل لساني يعيد توزيع نظام اللغة واضحاً في الحديث التواصلي أو المعلومات المباشرة في علاقة مختلفة.

[1] الفيروز أبادي: قاموس المحيط، باب الباء، ص23.

[2] محمد بن مكرم ابن منظور: لسان العرب، تح: أمين محمد عبد الوهاب، ط3، مج: 7، دار إحياء التراث، بيروت، 1999، مادة نصص.

[3] علي سليمي وعبد الصاحب طهماسبي: التناص القرآني في الشعر العراقي المعاصر، ط2، ص725.

أما مصطلح التناص، فهو لم يستقر على صيغة واحدة متعارف عليها، إذ تعددت مصطلحات التناص عند النقاد، فجاءت ولادة مصطلح التناص بصيغته الحديثة بعد إرهاصات متعددة، فهو مخاض ناتج عن الدراسات الغربية التي تدور حول علاقة النص وتفاعله بالنصوص الأخرى، مع شيوع مصطلح التناص في الدراسات النقدية والغربية. تعددت الدراسات التي اهتمت بالنص وفقاً لدراسات النقاد الخاصة بهم ووفقاً للمناهج النقدية التي يتبعها كل ناقد، ومن هنا جاء مصطلح التناص مع وجود تقارب في المفاهيم التي تفضي إلى تداخل النصوص بين بعضها.

عرفت جوليا كريستيفا التناص في محور علاقة النص باللغة المتواجدة داخلها، فالتناص هو علاقة إعادة توزيع النصوص داخل نص آخر عبر المقولات المنطقية، فهو: "ترحال للنصوص وتداخل نصي، ففي فضاء كل نص معين تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديدة مقطعة من نصوص أخرى، وفي فضاء أي نص هناك ترابط وتشارك مع نص آخر بأنماط مختلفة. كما أكد رولان بارت على أن التناص هو نص مكون من كتابات كثيرة مركبة ومأخوذة من ثقافات عدة، تتداخل ببعضها البعض وتتمازج فيما بينها، فالتناص هو: كل نص مصنوع من نصوص أخرى فيه ولكن بمستويات مختلفة، ويرى تودوروف أن التناص هو عمل تحويل من خطاب إلى خطاب آخر، ومن نص إلى نص آخر. ويرى الناقد العربي محمد مفتاح بتعالق النصوص ببعضها بعض وتداخلها في علاقات بأشكال مختلفة، فالتناص: "هو تعالق –الدخول في علاقة – نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة"[1]

وينقل عبد الله الغذامي تعريفات من سبقه من النقاد الغربيين (كريستيفا وبارك وغيرهم) في التناص، من خلال منطق تشريحي للنصوص وتداخلها ببعضها البعض، فالنص عنده: يصنع من نصوص متضاعفة التعاقب على الذهن، منسحبة من ثقافات متعددة ومتداخلة في علاقات متشابكة المحاور والتعارض والتنافس.

كثرت الآراء وتعددت المفاهيم لمصطلح التناص وفقاً لاختلاف مفاهيم النص عند النقاد وتبعاً للمدارس النقدية، وظهرت دراسة التناص للوقوف على جماليات النص الأدبي ومدى تأثيره بالنصوص الأخرى على اختلاف النقاد في تحديد مفهوم التناص، إلا أن مجمل التعريفات تشير إلى أن التناص هو ظاهرة أدبية ونقدية تهتم بعلاقة النص الأدبي وتأثره بالنصوص الأخرى.[2]

فالتناص هو عبارة عن إعادة قراءة النصوص المقتبسة في ضوء النص الجديد الراهن وإعادة صياغتها، فالنص الأدبي متعدد الدلالة والأصوات، فيه صوت الشاعر الرامي ربما إلى التعبير عن إيديولوجيا وموقف من الواقع والأحداث وتعليقه عليهما من خلال اختيار نصوص محددة، وهذا ليس عيباً في التناص كنظرية شغلت الساحة الأدبية الغربية والعربية، وقد اعتبرت آلية ضرورية لا يمكن الاستغناء عنها في الخطاب الأدبي عموماً والشعري

[1] محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، ط1، التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 1985، ص121.

[2] عبد الله الغذامي: الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، ط4، الهيئة المصرية، القاهرة، ص327.

خصوصاً، لرسم صورة شعرية حديثة مستمدة من منابع دينية مختلفة كالقرآن والسنة، بالإضافة إلى منابع أخرى ليحصل التوالد والتعالق بين النص الأصلي والنص المراد كتابته، فيحصل الانصهار الفني، الانفراد والتميز[1].

أما الوزن الصرفي للتناص فهو (تناص) على وزن تفاعل، وتدل هذه الصيغة على التفاعل والتشارك من خلال التتبع في الدلالات اللغوية والصرفية في مصطلح التناص، التي تشير إلى الاستقصاء والازدحام والتراكم، والتشارك والتفاعل بين الأشياء واقترابها بشكل كبير من مفهوم التناص بصيغته الحديثة، فهو تلاقي دلالات عدد من النصوص اللاحقة وتداخلها وتفاعلها وتقاطعها في نص آخر.[2]

وهناك أيضاً الكثير من ترجمات مصطلح التناص وتعريفاته، إلا أنه بالإمكان تبسيط تعريف التناص بما يتوافق وطبيعة موضوع البحث، وهو أن يتضمن نص أدبي ما نصوصاً وأفكاراً أخرى سابقة عليه عن طريق الاقتباس أو التضمين والتلميح أو الإشارة أو ما شابه ذلك من المقروء الأدبي لدى الأديب، بحيث تندمج هذه النصوص أو الأفكار مع النص الأصلي وتدغم فيه ليتشكل نص جديد واحد متكامل[3].

التناص أنواع كثيرة، منها التناص الديني، التناص التاريخي، التناص الأدبي، التناص القرآني، التناص الثقافي وغير ذلك، فالتناص القرآني وهو موضوع بحثنا هو التناص على طريقة الاقتباس من النصوص القرآنية، وهذا ما سعى إليه الأديب والكاتب أيمن العتوم في روايته هاته "أنا يوسف"، حيث استمد من النص القرآني وجعله يستمد منه، ويحاول أن يصور لنا قصة يوسف بطريقة ممتعة ومشوقة جاذبة للقراء.

المطلب الثالث: أشكال التناص (الأقسام):

يأتي التناص في الأعمال الأدبية على شكلين، التناص المباشر والتناص غير المباشر، أو بعبارة أخرى، تناص التجلي وتناص الخفاء، فالأول عملية واعية بينما الثاني عملية لاشعورية، هناك أيضاً من قال أن الأول هو التناص الشكلي بينما الثاني التناص المضموني.

فالتناص المباشر هو أن يقتبس الأديب لغته التي ورد فيها لفظاً ومعنى، مثل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأشعار والقصص والحكم والأمثال، أما التناص غير المباشر فهو الذي يستنتج استنتاجاً ويستنبط استنباطاً من النصوص، وهذا يقال بتناص الأفكار أو المقروء الثقافي أو الذاكرة التاريخية التي تستحضر تناصاتها بروحها أو بمعناها لا بحرفيتها أو لغتها أو نسبتها إلى أصحابها، وتفهم من تلميحات النص وإيماءاته وشفراته وترميزاته، ولهذا تستنبط استنباطاً، وربما تخمن تخميناً، كما يدخل ضمن التناص غير المباشر تناص اللغة والأسلوب، وقد يكون التناص الوارد كلمة أو جملة ذات دلالة ما، تدل على النص الذي اختزنت منه، وقد يكون بيت شعر أو جزء منه.

[1] هناء هلاسة، مجلة حوليات المخبر، التنوير للطباعة والنشر، ط1، 2015-04-03.

[2] محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد الستار، ط1، مج: 9، مادة نصص.

[3] أحمد الزغبي: التناص نظرياً وتطبيقياً، مؤسسة عون للنشر، عمان، 2000، ص103.

المطلب الرابع: التناص القرآني ومكانته من التناص الأدبي:

كل عملية أدبية لها مكانة، لاسيما نظرياتها، فلها مكانة أخرى كنظرية التناص القرآني فلها مكانة في التناص الأدبي، لأنه جزء من التناص الأدبي أيضا. والتناص ينقسم إلى أنواع متعددة حسب نوع النص المتناص، فهناك التناص الأدبي والتاريخي والقرآني والشعري والثقافي وغير ذلك، فالأول هو ما سيتناوله هذا البحث هو تداخل أو تضمين النصوص القرآنية في العلمية الأدبية.

التناص الأدبي هو تداخل نصوص أدبية مختارة، قديمة أو حديثة، شعراً أو نثراً، مع النص الأصلي بحيث تكون منسجمة وموظفة ودالة قدر الإمكان على الفكرة التي يطرحها المؤلف أو الحالة التي تجسدها ويقدمها في مؤلفاته، والتناص الأدبي مع النصوص الأدبية المختارة. هناك أربعة أنواع من النصوص وهي: القرآن الكريم والأحاديث النبوية ونصوص الشعر ونصوص النثر[1].

فالقرآن الكريم دستور المسلمين مدل الناس إلى صراط مستقيم، واستخدم توفيق الحكيم النصوص القرآنية في روايته ذكرى للباحثة والآخرين كي لا نبتعد عن القرآن والتكلم بلغة القرآن، فالقرآن من أحسن العناصر الأدبية، لذلك النصوص القرآنية لها مكانة عالية في العملية الأدبية. والتناص الأدبي له أربعة محاور التالية:

أ- التناص الأدبي مع القرآن:

التناص مع القرآن هو أن يتناص توفيق الحكيم خلال روايته مع النصوص القرآنية مثلاً، أو أيمن العتوم مع النصوص القرآنية، وغيرهم ممن استعمل التناص في كتاباته، فالقرآن هو كلام الله تعالى المنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل عليه السلام، فالقرآن كاملا ينقسم على ثلاثين جزءا ويشتمل على مائة آية وأربعة عشر، ومدة نزوله ثلاثة وعشرون عاما.

التناص في العمل الروائي المعاصر: نظرة رؤيوية معاصرة للقصص القرآني

إذا كان النقد المعاصر قد أقرّ باستقلالية النص معتبراً إياه كتلة لغوية معزولة عن أية مرجعية خارجية سواءً كانت ماضية أم حاضرة، بإن بعض من الاتجاهات النقدية المعاصرة كالسيميائية والتفكيكية، قد ألغت هذه الاستقلالية، لأن أي نص -حسبها -لابد له أن يستفيد من تشكيلات النصوص القديمة والمعاصرة، إذ ينفتح على تراكيب وأساليب مختلفة فيستعيرها ويقولبها حسب مقومات التجربة الإبداعية وفق علاقات تفاعلية تختلف باختلاف نمط الدراسة، وهذا ما عمل عليه الكاتب والروائي المعاصر أيمن العتوم، والذي اعتبر التناص من أبرز التقنيات الفنية التي وجب على أصحاب الشعر المعاصر والنثر استعماله، واحتفى بوصفه ضرباً من تقاطع النصوص الذي يمنح النص ثراءً وغنى يسهم في النأي به عن الحدود المباشرة والخطابة، والروائي أيمن العتوم من

[1] محمد الجعافرة: التناص والتلقي (دراسات في الشعر العباسي)، ط1، الأردن، دار الكندي، 2003، ص105.

المنغمسين في التراث الفكري والديني، وهذا ما يجعل احتفاءه وتوظيفه للتناص القرآني واضحاً وجلياً بين مختلف مفاصل مجموعته الشعرية، الآلية التي وجد فيها أرضية يتحرك في فلكها نص بطريقة مخالفة لتوقعات القارئ الذي يكتشف معها فضاء العبارة وجسد الفكرة المتجسد في النص في قالب تصويري وتشويقي جل نصوص وروايته منها: "أنا يوسف" التي هي محل دراستنا و"تسعة عشر" و"يا صاحبي السجن".

حضور الوعي القرآني في العمل الروائي:

حمل أدب أيمن العتوم الطابع الإسلامي القرآني وذلك يتضح في عناوين رواياته، حيث يقتبس أسماءها من آيات القرآن الكريم، كما يظهر ذلك في كثير من قصائده، وهذا راجع إلى نزعته الدينية وروحه الإسلامية وتشبعه بالثقافة الدينية وحفظه للقرآن الكريم. وقد ساهمت في ذلك نشأته الاجتماعية، حيث والده الدكتور علي العتوم أعضاء على الحركة الإسلامية في الأردن في ذلك، كما كان لوالده الدور الأكبر في تحبيب اللغة العربية وآدابها وأهلها إليه، لكون أستاذه كان أستاذ والوالد في جامعة اليرموك. وإذا قرأنا العبارات والاقتباسات الجميلة التي وردت في رواية "أنا يوسف" نجدها كالتالي:

– إنما نحن بشر، ركّب فينا ما ركُّب في سائر البشر، لكن النصر صبر ساعة، فمن صبر غنم.

– إذا نظر أحدكم إلى قلبه فليحرص على ألا يجد فيه إلا الله، ولا يجد فيه سواه، فمن وجد الله وجد كل شيء، ومن فقده فقد كل شيء.

– إذا سقط القلب في الحب فلن ترفعه كل عظات الفلاسفة، يستطيع الفلاسفة أن يجدوا حلاً لمشكلات الناس كلها إلا الحب.

– الحيلة استجابة العقل لنداء القلب، الحيلة وجه المكيدة الضاحك، الحيلة ثمرتها.

– الوطن أنت، ما سكنك لا ما تسكنه، قلبك إيمانك، فكرتك عن الله، يقينك، ضعفك أمام قوته، صبرك على محنته، ثباتك أمام طوفان الفتنة وهو يقتلع كل شيء، عقلك الذي لا ينام، فؤادك الذي يسمو، وأنت... أنت، ألا تنظر إلى نفسك، ألا تفتش عنك فيك.

– الإيمان أمان، لو آمن قلبك لآمن جسدك.

– أنا أحد أولئك الذين يلتزمون الصمت فجأة دون سبب واضح، ليس لأنهم جبناء، بل لأنهم يشعرون أن هناك فخاً في منتصف الحديث[1].

أثر القصص القرآني:

القصة من أبرز الوسائل التربوية وأقربها إلى نفس الإنسان وفطرته، إذ تحاكيه بشكل مباشر وتؤثر به، كما وتتناسب مع كل الفئات العمرية والمستويات والثقافات باعتبارها نماذج إنسانية لأقوام وأناس سبقونا، فتغرس أثراً

[1] حسن عباس فضل: القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، ط1، دار الفرقان، عمان، 1987، ص15.

عميقاً في نفس الإنسان، والقصة باختلاف أنماطها وشخوصها وواقعيتها تبقى الفن المكثف الموجز للحدث بأسلوب سائق وفائدة عميقة... ويمكن عدها من أنجع فنون النثر وأقربها إلى النفس وأيسرها على المتلقي باعتبار الحجم القليل نسبياً والفترة الزمنية القصيرة المستغرقة للقراءة. وتجمع القصة مزايا عدة، فهي تمتع إلى جانب أنها تُعلم، فهي تسبب لدى المتلقي متعة عقلية ونفسية تنجم عن استقبال القصة جمالياً... وقد يكون هذا الإمتاع كامناً في التشويق، أي إثارة الفضول ثم إشباعه، أو في الإصلاح على المصائر البشرية التي تصورها القصة.

والخطاب القرآني لا يضاهيه أي نوع خطاب آخر، فهو خطاب للعقل البشري بأسلوب سلس وفريد يترك أثراً كمياً في النفس البشرية لا تتركه أي وسيلة خطاب أخرى، مهما استعملت من المحسنات الخطابية في أساليب مخاطبة الناس لإقناعهم، فلا يمكن أن يصل لمستوى أن يقشعر الجلد في رهبة المواجهة الأولى للآيات، ولذلك كثرت الخطابات التي توجه للفرد في القرآن الكريم عن طريق الوقائع والأحداث والقصص لتكون سبيلاً للتعلم والأسوة الحسنة، والقصة في القرآن من أبرز وسائل هذا الخطاب الموجه إلى الناس، لذلك كثرت القصص في القرآن الكريم وتنوعت، ولاسيما قصص الأنبياء والأقوام السابقة التي ذكر بعضها بإجمال وبعضها الآخر بشيء من التفصيل والشرح لتأدية الغرض الجليل المراد بها. ولا تذكر قصة أو واقعة في القرآن الكريم دون فائدة مرجوة ودون أن تحوي في ظاهرها أو باطنها جملة من الدروس والعبر والحكم التي يستفيد منها الفرد المسلم في تقويم سلوكه وضبط قيمه وتحسين نمط حياته، كما أنها ليست مجرد أحداث وقعت أو أخبار سابقة جرت، بل تتضمن جانب أعمق من ذلك بكثير يدخل إلى كينونة النبي الذي حدثت معه القصة، فتعبر عن مشاعر صادقة عاشها بنفسه وذاق مرها وحلاوتها، فتكون المواقف خير مثال يحتذي به الناس في حياتهم.[1]

ولا خير من الأنبياء لنقتدي بقصصهم وتفصيلات حياتهم لتكون عبرة وعظة تبين الظلم الذي وقع عليهم ثم تستشعر بوهج النصر في قصصهم، والمتعارف عليه أن كل نبي من أنبياء الله عانى أشد معاناة ولم تكن حياتهم يسيرة سهلة، بل عُذبوا وهُجّروا وتحملوا شظف العيش وقسوة المعاملة في سبيل الدعوة إلى الرسالة التي كُلفوا بها، وبعضهم قُتل في سبيل هذه الدعوة السامية، ومع ذلك كانت إرادتهم صلبة وصبرهم لا ينضب... يظل عاجزاً أن ينال من عزيمتهم ويفتت من عضدهم.

ونظراً للأهمية الجليلة للقصص القرآني التي ذكرت في غير موضع في حنايا الكتاب العزيز، فالقصص القرآني لا يقل الحيز الذي شغله من كتاب الله تعالى عن الربع إن لم يزد قليلاً، أخذ هذا الجانب بالدراسة والتحليل والعمل الجاد لاستنتاج كل عبرة أو درس مستفاد أو حكمة جليلة يمكن أن تكون وراء هذه الآيات، كما صيّرها الناس إلى

[1] حسن عباس فضل: القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، ص10.

أنماط بسيطة يتفاعل معها الأطفال ويأخذوا منها درساً منذ الصغر، ويجد فيها الكبير والمتعلم والباحث مستوى عالٍ يتناوله بالدراسات والتحليلات الممكنة.[1]

ب- التناص الأدبي مع الحديث النبوي:

هو تداخل النصوص من الحديث الشريف لفظا أو معنى، صحيحا أو حسنا أو ضعيفا، متواترا أو مشهورا أو أحداً.

ج- التناص الأدبي مع الشعر:

هو تداخل النصوص من أشعار الشعراء قبل أشعار الشاعر المطلوب أثناء تحليله.

د- التناص الأدبي مع النثر:

هو تداخل النصوص النثرية العربية للأدباء الذين عاشوا من قبل الأديب المطلوب أثناء تحليله. فالنثر هو الشكل المعتاد للغة المنطوقة والمكتوبة، وينطبق مصطلح النثر على كل التعبيرات التي ليس لها نسق قد يكون إيقاعيا منتظما.

من هذه المصادر الأربعة، لو كانت الباحثة تجد النص المتناص من غير القرآن، لكانت الباحثة تعرض كل ما تجده ذلك.[2]

5- وظائف التناص القرآني:

للتناص القرآني ثلاثة وظائف أساسية تحدث عنها موسى ربابعة وهي:

- التأكيد على عمومية الموضوعات التي يتناولها النص من خلال تقاطعه مع نصوص أخرى تعالج المضامين نفسها.

- إعادة قراءة النصوص المقتبسة في ضوء النص الجديد الراهن، وربما إعادة صياغتها بما يكشف عن جوانب جديدة، وقراءتها في إطار جديد ونص جديد، فالنص الأدبي متعدد الدلالة، والأصوات فيه صوت السارد والكاتب.

[1] حلبي سنابل: قصة يوسف النبي عليه السلام في الشعر الفلسطيني المعاصر، رسالة الماستر، ص16.

[2] بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ص120.

– التعبير عن إيديولوجيا السارد وموقفه من الواقع والأحداث وتعليقه عليها من خلال اختيار نصوص محددة، فالسارد في آن واحد يعلق على واقعه باقتباس تلك النصوص ويعلق على تلك النصوص من خلال وضعها في سياقها الجديد.

تشي هذه الوظائف بوجود تفاعل وقواسم مشتركة بين النصوص لتخدم بعضها بعض، وهذا ما أشارت إليه كريستيفا عند قولها: النص ترحال للنصوص وتداخل نص في فضاء نص معين تتقاطع وتتنافى فيه ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى، يمكن الاستفادة من هذه الوظائف أن التناص يدعم النصوص ويربط الحاضر بالماضي لإثراء التجربة الشعرية ومنحها أبعادا مختلفة لتوضيح الرسالة الشعرية أو إضاءة جوانب مختلفة فيها وقراءتها بطريقة جديدة تختلف عن الطريقة التقليدية في التحليل. ويؤكد محمد مفتاح أهمية التناص للشاعر وعدم استغنائه عنه فهو بمثابة الهواء والماء والزمان والمكان للإنسان، فلا حياة له بدونهما ولا عيشة له خارجهما. وتحدث محمد بنيس عن إشكالية النص الغائب، ولا يمكن للقارئ أن يعين كل النصوص الغائبة ويصنف بدقة الأسباب التي دعت إلى وجودها، لأن النصوص الغائبة تمر بعمليات معقدة لا يمكن للإرادة الواعية أن تتحكم بها.[1]

6– نشأة التناص وتطوره:

اهتم النقاد العرب القدماء والمحدثين بالتناص، فكان النقد العربي القديم مدركاً لمفهوم التناص دون المصطلح المتعارف عليه حالياً، فعرف النقاد العرب القدماء دلالة التناص وتفحصوا آلياته، فيقول فاضل التميمي: عرف النقاد العرب القدماء دلالة التناص وتقمصوا آلياته وتحت مسميات مختلفة صبت في مجرى مفاهيم التناص المعاصر، وظهر اهتمام العرب بدلالة التناص وبمفهومه ظهوراً جلياُ في وعي الشعراء في العصور القديمة في شعرهم، وذلك من خلال الأخذ من شعر من سبقهم أو إعادة إنتاج الشعر أو السرقة الأدبية وغيره من المصطلحات التي تصب في مفهوم التناص، فيقول امرؤ القيس:

عوجا عَلى الطَلَلِ المِحيلِ لِأَنَن نَبكي الدِيارَ كَما بَكى اِبنُ خِذامِ

ولم يقتصر الوعي بحقيقة مفهوم التناص على الشعراء، ففي قول علي ابن أبي طالب "لولا أن الكلام يعاد لنفد". فكل هذه الشواهد تؤكد حقيقة مفهوم التناص عند العرب القدماء، وبالرجوع إلى جذور التناص في تراث النقد الأدبي القديم، نجد مصطلحات نقدية وبلاغية تتفق مع مصطلح التناص بالمفهوم الذي هو عليه اليوم، ومنها: السرقة، الاقتباس والتضمين، المعارضة والمناقضة. أما النقاد المعاصرون فلم يتفقوا على مصطلح واحد للتناص، فتعددت المسميات تحت مفهوم واحد منها: التناص والتناصية والنصوصية، تداخل النصوص، التداخل النصي.

[1] موسى ربابعة: التناص في نماذج من الشعر العربي الحديث، مؤسسة حمادة، ص405.

من خلال ما سبق من تعريف ظاهرة التناص وتطوره، يمكن استخلاص أن التناص ظاهرة نقدية أدبية ذات جذور قديمة غي الساحة النقدية والأدبية عربياً وغربياً، مع تعدد المصطلحات التي توافقت مع مفهوم التناص مثل: السرقة، التضمين، والحوارية وغيرها، كما تعددت المصطلحات في الدراسات الحديثة، اتفقت الدراسات النقدية على مفهوم التناص الذي يعنى بدراسة النص الأدبي ومقاربته وتداخل النصوص وتشاركها، فالتناص هو الذي يهب النص قيمته ومعناه، ويفتح الباب لتمكين القارئ من طرح مجموعة متعددة من التوقعات.[1]

حفل الشعر الأردني المعاصر بشعراء مميزين، وتوظفت ظاهرة التناص في شعرهم الذي يؤكد البعد الثقافي والزماني والمكاني لدى الشعراء الأردنيين، وحظي شعر الشاعر أيمن العتوم وكتاباته النثرية بوفرة ظاهرة التناص، فظهر التناص في شعره وكتاباته بشكل كبير دلالة على كثرة المخزونات الثقافية والدينية والسياسية لدى الشاعر والكاتب الأديب، وسعة اطلاعه ومطالعته وقدرته العقلية وحضوره الذهني ليسترجع كل ما في الذاكرة ويصيغ منه عملاً جديداً. تنوعت أشكال التناص في أدب أيمن العتوم بتنوع أفكاره بين التناص الديني والتاريخي والأدبي والشخصيات وغيرهم، وسيتم في هذه الدراسة إلقاء الضوء على ثلاثة أشكال: التناص الديني والقرآني بشكل كبير، ومن ثمة التناص التاريخي والتناص الأدبي، وذكر مواقع التناص وتحليلها على سبيل الذكر لا على سبيل الحصر، لتواجد التناص بشكل كبير في كتاباته الشعرية منها والنثرية على حد سواء.

المبحث الثاني: التناص: أنواعه، آلياته، ومستوياته

المطلب الأول: أنواع التناص

للتناص أنواع عديدة، والتي تعتبر مصدراً موثوقاً يعتمد عليه لاستحضار تجارب سابقة ومتزامنة مع فكر المبدع:

أ- التناص التاريخي:

"ونعني بالتناص التاريخي تداخل نصوص تاريخية مختارة ومنتقاة مع النص الأصلي للرواية تبدو مناسبة ومنسجمة لدى المؤلف مع السياق الروائي أو الحدث الذي يرصده ويسرده، وتؤدي غرضاً فكرياً أو فنياً أو كليهما معاً".[2]

ب- التناص الديني:

وهو التقاطع مع ما ورد في الموروث الديني الإسلامي في القرآن الكريم على المستوى الشكلي والمستوى الموضوعي. ويعد القرآن من مصادر الموروث الأساسية ومصدر التشريع الأول لدى المسلمين، "ونعني بالتناص

[1] أحمد الزغبي: التناص نظرياً وتطبيقياً، ص11.

[2] المرجع نفسه، ص30.

الديني تداخل نصوص دينية مختارة عن طريق الاقتباس أو التضمين من القرآن أو الحديث أو الخطب والأخبار الدينية..."[1] وتنسجم هذه النصوص مع السياق فتؤدي غرضاً فكرياً أو فنياً أو كليهما معاً.

ج- التناص الأدبي:

يأتي التناص مع التراث الأدبي المتمثل في الشعر والأمثال والمحكم العربية ليُعزز ويكثف دلالات الكلمات والمعاني التي يطرحها الشعراء والكتاب من خلال أعمالهم، فالاستعانة ببيت شعري أو حكمة أو مثل يجعل العبارات ذات معانٍ فياضة وتزخر بالدلالات وتفتح أكثر من طريق للتأويل والتحليل، "فهو تداخل نصوص أدبية مختارة قديمة وحديثة، شعراً ونثراً مع النص الأصلي، بحيث تكون منسجمة وموظفة ودالة قدر الإمكان على الفكرة التي يطرحها المؤلف".[2]

ويختلف نوع التناص حسب السياق، وحسب المصدر المأخوذ منه، فالتناص مع الأسطورة تناص أسطوري، ومع آية قرآنية ديني، وهكذا دواليك.

المطلب الثاني: آليات التناص

وهي التقنيات التي يعتمد عليها المبدع، وتكون من خلال عمليتين أساسيتين هما: الامتصاص والتحويل، أي أن النص لا يتم إبداعه من خلال رؤية الكاتب أو الشاعر، بل تتم ولادته من خلال نصوص أدبية وفنية أخرى، مما يجعل التناص يتشكل من مجموع استدعاءات خارج نصية، ويتم إدماجها وفق شروط بنيوية خاضعة للنص الجديد، "فالتناص إذن للشاعر بمثابة الهواء والماء والزمان والمكان للإنسان، فلا حياة له بدونهما ولا عيشة له خارجهما، وعليه فإنه من الأجدى أن يبحث عن آليات التناص لا أن يتجاهل وجوده هرباً إلى الأمام".[3]

وقد حدد الباحث محمد مفتاح في كتابه "تحليل الخطاب الشعري" آليات التناص، نوردها كالآتي:

أ- التمطيط: وقد تكون بأشكال مختلفة تبسط النص، ومن الوسائل التي يعتمدها الكاتب في التمطيط هي:

الذي يحصل بأشكال مختلفة أهمها:

- **"الأناكرام:** وهو الجناس بالقلب وبالتصحيف.
- **الباراكرام:** الكلمة المحور.

[1] أحمد الزغبي: التناص نظرياً وتطبيقياً، ص37.

[2] المرجع نفسه، ص50.

[3] محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، ص125.

فالقلب مثل قول–لوق، عسل–لسع، أما الكلمة المحور فقد تكون أصواتها مشتتة طوال النص"[1]، وهذه الآلية ضمنية وتخمينية تحتاج إلى انتباه من القارئ أو عمل منه لإنجازها.

ب– "الشرح:

إنه أساس كل خطاب وخصوصاً الشعر، فالشاعر قد يلجأ إلى وسائل متعددة تنتمي كلها إلى هذا المفهوم، فقد يجعل البيت الأول محوراً ثم يبني عليه المقطوعة، وقد يستعير قولاً معروفاً ليجعله في الأول أو في الوسط أو في الأخير، ثم يمططه بتقليبه في صيغ مختلفة. فالشرح هو أهم وسيلة يعتمد فيها الكاتب على التمطيط من خلال تفسيره للفكرة التي يحاول شرحها، ولذلك كان الشرح أساس كل خطاب شعري، فقد يكون كلمة محورية في القصيدة كلها"[2].

ج– التكرار:

ويكون على مستوى الأصوات والكلمات والصيغ متجلياً في التراكم أو في التباين.

د– التشويش:

وهو أخذ فقرة من نص مكرس، فيقوم الكاتب بالتدخل فيه أو التلاعب به وإدخال نصوص أخرى عليه، مثل تحويل النص من الفصحى إلى العامية، "ويعد هذا التشويش من أنواع تناص التخالف، حيث إن الطبيعة الدلالية لعلاقات الحضور والغياب فيختلف معنى الكلمة عن دورها المعتاد"[3]، والذي يضبط ذلك السياق الذي ترد فيه، ومثال ذلك الفعل "قص" عند قراءتها تبدأ علاقات الغياب في تشويش لتداعي إيحاءاته، فإن قامت علاقات الحضور في تحديد دلالاته مثل "قص الولد حكاية" "قص الولد الثوب" تكون علاقات الغياب مشوشة وعلاقات الحضور محددة.

هـ– أيقونة الكتابة:

إن الآليات التمطيطية تؤدي إلى ما يمكن تسميته بأيقونة الكتابة (علاقة المشابهة مع واقع العام الخارجي) وبالتالي فإن تجاوز الكلمات المتشابهة وتباعدها وارتباط المقولات النحوية ببعضها، أو اتباع الفضاء الذي تحتله، وهي أشياء لها دلالاتها في الخطاب الشعري.

[1] محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، ص126.

[2] المرجع نفسه، ص126.

[3] أحمد مجاهد، أشكال التناص، ص88.

ومن هنا، فالتمطيط آلية من آليات التناص، والتي تكون بأشكال متعددة تتراوح بين الأناكرام والشرح والتكرار والشكل الدرامي وأيقونة الكتابة، وكل شكل من هذه الأشكال له وظيفته الخاصة التي يؤديها، وتشترك كل منها في تبسيط النص.

و- الإيجاز:

الإيجاز أيضاً مهم في التناص، ومن الخطأ قصر عملية التناص على التمطيط. وهي: عملية تعتمد على التركيز والاختصار، وتدعى (الإحالة المحضة) وهي تحتاج إلى شرح وتوضيح ليدركهما المتلقي العادي، ولذلك نجد شروحاً لبعض القصائد التي تحتوي على هذه الإحالات، إذ لا يذكر الشاعر فيها إلا الأوصاف المتناهية في الشهرة والحسن، أو الأوصاف المتناهية في الشهر والقبح. فالمقصود بالإيجاز هو أنه عندما ينشر الكاتب النص فإنه يقوم كذلك بتلخيصه واختصاره كما كان عليه من قبل عن طريق الإشارات والتلميحات الدالة.

ونجد الباحث أحمد ناهم من خلال كتابه "التناص في شعر الرواد" يقسم الإيجاز إلى:

- **التلميح**: وهو أهم أنواع الإيجاز، يقصد به الإشارة إلى حدث مشهور أو قصة معروفة.
- **التلخيص**: وهو عدم الباراكورام، الذي هو تمطيط الفكرة والمقولة في بداية القصيدة.
- **الحذف**: آلية تكثيفية يلجأ إليها الشاعر لغرض بلاغي شعري.
- **الاقتباس**: ينظر إليه أنه شكل من أشكال التناص واستلهام وامتصاص للتراث وتفاعل معه.
- **التضمين**: وهو الاستشهاد ببيت أو أبيات، وهو من المداخل التي عرج عليها المتناصون.
- **الترجمة**: ويقصد به ترجمة الشاعر أو الكاتب لبعض الأبيات المتضمنة في نصه، أو ترجمة بعض النصوص، أي أن الترجمة وسيلة تعبيرية تناصية[1].

المطلب الثالث: مستويات التناص

اختلف النقاد والباحثون في تصنيف مستويات التفاعل، ويرجع هذا الاختلاف إلى تباين طبيعة النصوص والمناهج الأدبية التي يطبقون عليها، فيُرى أن الناقد محمد بنيس قد تقدم بمصطلح جديد للتناص أسماه التناص الغائب فيه اعتبر أن هناك نصوص غائبة، مما جعله يعتمد على طرحات (كريستيفا وبارت وتودوروف) فيحدث عنده التناص على ثلاثة مستويات منها:

1- المستوى الاجترازي:

[1] محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، ص126.

هذا النوع قد شاع في عصور الانحطاط ويتعامل فيها الأديب أو الشاعر بإعادة كتابة النص الغائب بشكل جامد لا حياة فيه، فكان تعامل الشعراء بطريقة نمطية مع النصوص الشعرية ولم يعتبروها إبداعاً.

2- المستوى الامتصاصي:

يعتبر هذا المستوى أعلى وأكثر تقدماً من المستويات السابقة، فهو لا يقوم على تقديس النصوص الغائبة مع الحوار، ولا يقوم به إلا شاعر أو أديب متمكن في النظم والكتابة، وبناءً على هذا يكون الحوار قراءة نقدية وعلمية[1].

لما كانت الظاهرة التناصية في الأدب العربي الحديث تشكل بعداً فنياً وإجراءً أسلوبياً يكشف عن التفاعل بين النصوص الحديثة والقديمة والتقاء بين الحضارات، إذ يتم استدعاء النصوص بأشكالها المختلفة على أساس وظيفي يجسد التفاعل بين الماضي والحاضر، إذ كان الدارسون قد أجمعوا على أنه لا يخلو نص من نصوص أخرى يتناسل معها فتتكاثر، فإن ما يهم القارئ المتلقي لهذه النصوص المتناصة هو كيفية توظيف النص الوافد ليصبح جزءاً أساسياً من نسيج النص أو لبنة من لبناته لا أن يكون نشازاً أو غريباً عن النص المستقبل. وقد وردت كلمة التناص في حقل النقد العربي الحديث بعدة صياغات وترجمات نختصرها في التناص، فالشاعر الحداثي والأديب عموماً ينهل من نهر معرفي متدفق متعدد المنابع متلون الروافد، يختلط فيه العلمي بالخرافي، التاريخي، الأسطوري، الديني، الصوفي، تركيبة معرفية غربية يتشكل منها النص. وتتم دراسة التناص من خلال قوانينه الثلاثة وهي: الاجترار، الامتصاص، التحوير، فالاجترار تكرار للنص الغائب من دون تغيير ما كان يسمى بإعادة النص مثلما هو أو بإجراء تعديل طفيف لا يمس جوهره، وعادة يتم على مستوى النص الديني لما يحظى به من تقديس واحترام، ليأتي في الدرجة الثانية للنص الأسطوري. أما الامتصاص وهو شكل أعلى وأكثر قدرة على خلق أدبية في النص الجديد حيث يتعامل الشاعر مع النص المتناص تعاملاً حركياً تحويلياً لا ينفي الأصل، بل يسهم في استمراره جوهراً قابلاً للتجديد، أي أن الامتصاص لا يجمد النص الغائب. والتحوير أعلى مراحلها، فالأديب يقوم بتغيير النص المأخوذ عن طريق القلب إيماناً منه أنه محدود الإبداع[2].

[1] رغد أبو راشد: الإبداع والقراءة في التناص الجزائري، 15 سبتمبر 2022.

[2] فيصل الأحمر ونبيل دادوة: الموسوعة الأدبية، ج1، مؤسسة عون للنشر، عمان، 2000، ص359.

الفصل الثاني:

التطبيقي

الفصل الثاني: التطبيقي

المبحث الأول: نماذج من التناص في الرواية (استعمالات الروائي للتناص)

المطلب الأول: التناص الصريح (المباشر لفظاً)

وهو ما يطلق عليه تناص التجلي، وهي عملية إعادة إنتاج للنص، حيث يتجلى فيه توالد النص وتناسله من جراء استقطاب عدد كبير من النصوص السابقة والمزامنة في عملية تمازج نصوص وأفكار وجمل، ويمكن أن نلحق به ما ورد عن نقاد العرب القدماء في قضايا النقد القديم (السرقة، الاقتباس، التضمين، الاستدعاء).

وهذه العملية التناصية المتجلية في النص تقوم على وعي من الكاتب، بحيث يتم فيها امتصاص وتحويل النصوص في أتون التفاعل النصي لإخراج النص الجديد، ويعمد فيه الأديب أحياناً إلى استحضار نصوص بلغتها ونصها كالآيات القرآنية والحديث النبوي الشريف والشعر.[1] وسننتقل الآن إلى بعض نماذج التناص الصريح في رواية أنا يوسف.

يقول تعالى في كتابه العزيز على لسان زوجة العزيز: "وقالت هيت لك" سورة يوسف، الآية 23. بمعنى تهيأت لك، وبما أن الرواية تحكي ما حدث مع نبي الله يوسف، فقد أورد الكاتب هذه الجملة مصرحاً بها دون تأويل فيقول: "هيت لك"[2]. وجعل هذه الجملة عنوان جزء كامل ليحللها في عدة صفحات ويورد العديد من التفاصيل التي جرت بين امرأة العزيز والنبي، وتتجلى آيات القرآن في العديد من المواضع دون تأويل بل كما ورد ذكرها في القرآن.

وفي التعبير عن مدى حب زليخة للنبي، يورد الكاتب عبارة "شغفها حباً"[3] نقلاً عن قوله تعالى: "وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ" سورة يوسف، الآية 30.

بعد هذه المحطة في حياة النبي، ينتقل الكاتب إلى مرحلة التخطيط والمكائد التي حاكتها النسوة لإدخال يوسف السجن أو الرضوخ لهن، ولكن يرد بعبارة: "السجن أحب لي"[4] يقول تعالى: "قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ" سورة يوسف، الآية 33.

[1] محمد الجعافرة: التناص والتلقي (دراسات في الشعر العباسي)، ص15.

[2] أيمن العتوم: أنا يوسف، دار المعرفة، القاهرة، ط16، 2019، ص186.

[3] المصدر نفسه، ص202.

[4] المصدر نفسه، ص211.

"أي فرج والموت أقرب إلينا من حبل الوريد"[1] يريد الكاتب أن يوسع دائرة التناص بإدراج آيات من صفحات مختلفة من القرآن وليس سورة يوسف فقط، ليظهر مدى تأثره بالنص القرآني، يقول تعالى: "وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ" سورة ق، الآية 16.

وفي مثال آخر عن تجربة يوسف في السجن في محطة تأويل الرؤى التي رآها كل من السجينين والملك، نجد كلمة "وقال الخباز إني أرى وقال الساقي إني أرى"[2] وفي رؤيا الملك ترد الآية مصرحاً بها كما وردت في المصحف الشريف "وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ" سورة يوسف، الآية 43.

أحاط الكاتب بكل زوايا الحكاية سواء باستخدام سورة يوسف أو سور أخرى، لينقل لنا التجربة مشبعة بروح القرآن، مثل قوله على لسان السجناء: "وقالوا له إنا لا نفقه كثيراً مما تقول"[3] وهذا الحوار سبق له الحضور في النص القرآني على لسان أهل مدين في محاولة النبي شعيب لهدايتهم، يقول تعالى: "قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ" سورة هود، الآية 91.

وفي استكمال الحكاية مع تفسير الرؤى وقطع الشك باليقين، وردت الآية في الرواية "ثم قال لهما معاً: قضي الأمر الذي فيه تستفتيان"[4] يقول الله تعالى في سورة يوسف: "يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ" سورة يوسف، الآية 41.

ومن المشاهد التي صورها الكاتب، مشهد خروج الساقي حراً من السجن وربما تحت ضغط الحياة في السجن والشعور بالقهر والظلم الذي وقع على النبي، لاحت له فكرة الاستنجاد بالملك لعله يكون في ذلك خلاصه فقال له: "اذكرني عند ربك"[5] قال تعالى: "وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ" سورة يوسف، الآية 42. وترد تكملة الآية في سطر آخر من أسطر الرواية "فإنه يقول وعزتي وجلالي لألبثنك في السجن بضع سنين"[6]

"وصاح يعقوب: يا أسفاه على يوسف"[7]

قال تعالى: "يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ". سورة يوسف، الآية 84.

فقد استعار الكاتب الأردني الجملة القرآنية يا أسفى في كتابته بطريقة صريحة مما زاد المعنى بها جمالاً ورونقاً.

---

[1] أيمن العتوم: أنا يوسف، ص231.

[2] المصدر نفسه، ص244.

[3] المصدر نفسه، ص253.

[4] المصدر نفسه، ص258.

[5] المصدر نفسه، ص258.

[6] المصدر نفسه، ص261.

[7] المصدر نفسه، ص150.

"لا تخف"[1]

"قُلْنَا لَا تَخَفْ" سورة طه، الآية 68.

"لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ" سورة العنكبوت، الآية 33.

هنا تناص مطلق صريح غير مؤول، كما جاء الفظ القرآني كما هو في الرواية دلالة على تشبع العتوم بالثقافة الإسلامية.

في الرواية صراع واضح بين ملك مصر وكهنة المعابد، فيطلق عليهم عدة أوصاف من بينها قوله: "ولكنهم يحسبون أنهم على شيء وهم أخف من الهواء، يحسبون كل صيحة عليهم".[2] وهو وصف أطلقه الله تعالى على المنافقين، يقول تعالى: "وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ" سورة المنافقون، الآية 4.

وفي وصف سنوات الوفرة التي ستشهدها مصر يقول الكاتب: "وحين يكاد الموت يفتك بكل ما يدب على وجه الأرض، يبعث الله حينئذٍ سحاباً ثقالاً".[3] وهذا سيكون فرجاً لمصر بعد قحطها، فقد جاء في القرآن وصف كهذا، يقول تعالى: "وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ" سورة الأعراف، الآية 57.

يحاول النص أن يُظهر مدى تعلق ملك مصر وإعجابه بالنبي يوسف، وكذلك تطابق المذهب الديني بينهما، فلا يُخفى أنه ينبذ تعدد الآلهة ويدعو إلى توحيدها، فيجيبه النبي بأنه يدعو إلى الواحد الأحد "إنني أدعو إلى الله لا إلى توحيد الآلهة، الله الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً"[4] ولا يخفى على أحد أن مصر في زمن الفراعنة كانت تشهد تعدداً هائلاً في الآلهة وأنصاف الآلهة، فلم يكونوا يعبدون أصنامهم فقط، بل حتى الحيوانات والبشر التي كانت عندهم بمثابة أنصاف الآلهة. حتى أرسل الله أنبياءه ليبلغوا رسالته للعالمين، يقول الله تعالى: "الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا" سورة الفرقان، الآية 2.

ولأن حجة الله بالغة، آمن الملك بما يدعو به الرسول، "وأنا آمنتُ بما آمنتَ به"[5] وبهذا أصبح من الموحدين وفُتح قلبه للإيمان بالدين الحق، قال تعالى: "فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ" سورة البقرة، الآية 173.

---

[1] أيمن العتوم: أنا يوسف، ص84.

[2] المصدر نفسه، ص273.

[3] المصدر نفسه، ص277.

[4] المصدر نفسه، ص281.

[5] المصدر نفسه، ص281.

"سورة يوسف من السور المكية، وتميزت بذكر قصة النبي يوسف كاملة في أسلوب قصصي بديع، وهي أطول قصة في القرآن"[1] نزلت عام الحزن حين فقد الرسول صلى الله عليه وسلم زوجته، ليثبّت الله قلب نبيه ويبشره أن بعد العسر سيأتي اليسر لا محالة. فبعد سنوات السجن والحرمان التي عاشها النبي يوسف عليه السلام في غياهب السجن صار مطاعاً وأميناً في أرض مصر "وقال يوسف للملك في مجلس العرش: اجعلني على خزائن الأرض فأقوم على تدبير شؤونها".[2] فبعد كل العذاب الذي عاشه في البعد عن أهله، مكَّن الله له في الأرض، وسأل النبي هذا العمل لعلمه بقدرته عليه ولما فيه من المصالح للناس، قال الله تعالى في كتابه: "قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ" سورة يوسف، الآية 55. ومدْح النبي لنفسه جائز لأنه مجهول لدى أهل مصر، وذكر أنه حفيظ أي خازن أمين، وعليم أي ذو علم وبصيرة بما يتولاه.

ومكَّن الله له وأتاه سبيل الرشد في أرض مصر، ثم يصور لنا الكاتب مشهد لقائه بزليخة زوجة العزيز وكيف أنه غفر لها كل السوء الذي ارتكبته نحوه، "ائتنا نكرمك فقد عفا الله عما سلف"[3] ولقد ورد هذا الوصف لله في القرآن الكريم عديد المرات، وهو من أسماء الله الحسنى، فالله يعفو عن عباده المذنبين إذا ما أخلصوا له التوبة وأحجموا عن ذنوبهم، يقول تعالى: "عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ" سورة المائدة، الآية 95.

وكذلك يصور لنا الكاتب في الرواية كيف أنه التقى بإخوته بعد فراق طويل، وما أحضرهم إليه إلا القحط الذي أصاب أرض كنعان، وأجزل لهم العطاء حتى يضمن رجعتهم. أورد الكاتب الآية الكريمة: "بضاعتنا ردت إلينا"[4] فالنبي أرجع لإخوته ثمن القمح الذي أخذوه كي تكون لهم رجعة إلى أرض مصر. يقول تعالى: "وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ" سورة يوسف، الآية 65. وفي تفسير هذه الآية يقول ابن كثير: "ولما فتح إخوة يوسف متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم، وهي التي كان أمر يوسف فتيانه بوضعها في رحالهم، فلما وجدوها في متاعهم قالوا يا أبانا ما نبغي؟ أي ماذا نريد؟ هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا، أي نأتي بالكيل إلى أهلنا"[5].

نلمس في النص الجانب العاطفي الذي نجده بكثرة في الأقوال والأفعال، وخاصة في تعلق النبي يعقوب بيوسف حتى بعد مضي أعوام طوال من الفراق، وليملأ الفراغ الذي تركه يوسف فيه يصير شديد التعلق بابنه الأصغر بنيامين، يقول الكاتب على لسان يعقوب: "وقال يعقوب لبنيامين: لن يصلوا إليك ما دام لي جفن يطرف، إنني

[1] عثمان بن سعيد: البيان في عد آي القرآن، مركز لمخطوطات والتراث، الكويت، ط1، 1994، ص167.

[2] أيمن العتوم: أنا يوسف، ص285.

[3] المصدر نفسه، ص290.

[4] المصدر نفسه، ص302.

[5] ابن كثير: تفسير سورة يوسف، المكتبة العربية للكتب والمعارف، دمشق، ص56.

أحس النغمة نفسها التي سمعتها منهم قبل أكثر من أربعين عاماً حين قالوا أرسله معنا"[1] وهذا يدل على أن النبي يعقوب فقد الثقة بأبنائه ولم يأمنهم على أخيهم الذي بالرغم من أنه غزى الشيب شعره، لا يزال يرى فيه يوسف الصغير، يقول الله تعالى: "قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُف وإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُون أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً يَرْتَعْ ويَلْعَبْ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُون" سورة يوسف، الآيتين 11، 12.

بعد رفض النبي لمغادرة ابنه أرض كنعان إلى مصر، كاد أهله أن يهلكوا جوعاً، فلم يجد مناصاً إلا أن يرسله معهم: "فإن عيون الجند والحرس تقتنص الطير في سمائه، ولا تدخلوا من باب واحد وأنتم عشرة رجال أشداء فادخلوا من أبواب متفرقة"[2] ويوصيهم بأن يتفرقوا ويدخلوا من أبواب متفرقة لكي لا يُكشف أمرهم "وكذلك خشي عليهم من العين وذلك أنهم كانوا ذوي جمال وهيئة حسنة ومنظر وبهاء، فخشي عليهم أن يصيبهم الناس بعيونهم، فإن العين حق تستنزل الفارس عن فرسه"[3] وجاء في القرآن الكريم: "وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ" سورة يوسف، الآية 67.

كان الشوق يعصف بالنبي يوسف لرؤية أخيه، وحين رآه لم يستطع أن يفارقه، فعمد إلى حيلة ينهي بها هذا الشوق ويجتمع بأهله كافة ويكشف بها نفسه لأخيه، "واقترب منه ودون أن يُسمعها أحد قال له: إنني أنا أخوك فلا تحزن"[4] وهنا بدأت المرحلة الأخيرة في قصة يوسف مع إخوته، إذ كشف نفسه لأخيه وطمأنه أن لا يحزن، لأن الحادثة لم تكن إلا مكيدة ليتعرف عليه أخوه، يقول تعالى: "وَلَمَّا دَخَلُوا عَلى يُوسُفَ آوى إِلَيْهِ أَخاهُ قالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلا تَبْتَئِسْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ" سورة يوسف، الآية 69. واضطر بهذا أن يستبقي أخاه عنده وتشفع له إخوته أن يتركه قائلين: "وحبا يهوذا بجانب أخيه: نتوسل إليك أيها العزيز، إن أباه شيخٌ كبير"[5] علموا أن أباهم لن يصدقهم، فهذه القصة تتكرر للمرة الثانية وكان التاريخ يعيد نفسه، لكن هذه المرة دون تدبير منهم، ولن يتحمل يعقوب هذه المأساة وسيهلك من فرط الأسى على ولديه، فهو لم يُشفَ بعد من مصيبته الأولى لتحل عليه مصيبة أخرى. قال تعالى: قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ" سورة يوسف، الآية 78.

"شهدنا"

"مَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا" سورة يوسف، الآية 81.

---

[1] أيمن العتوم: أنا يوسف، ص309.

[2] المصدر نفسه، ص307.

[3] ابن كثير: تفسير سورة يوسف، ص58.

[4] أيمن العتوم: أنا يوسف، ص317.

[5] المصدر نفسه، ص318.

فالشهود على الولاية لا يكون إلا لذي علم وحكمة ودراية بما يجري، ويوسف لما سئل قال: ما شهدت إلا بما علمت، ورجع الفضل لله ثم بعدها إليه، وذكر فضل الله على الناس من شيم الكرام ومكارم الأخلاق، وهذا لعلو همته ودرايته وعلمه الغزير وولايته الحكيمة على أهل مصر.

– "عن آياتها من الغافلين".[1]

"وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ" سورة الأعراف، الآية 205.

ذكر الروائي أيمن العتوم أثر الغفلة في إخوة يوسف وكيدهم ..... الذي أدى بهم إلى الهلاك.

– "أن يفتروا على الله"[2]

"انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا" سورة النساء، الآية 50.

الافتراء خلق مذموم عند الله سبحانه عز وجل، وقد حذر رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم بعدم الافتراء والبهتان والغيبة والنميمة، ونزلت سورة الحجرات لمكارم الأخلاق.

"وأنفاسهم للشيطان، وضلوا ضلالاً بعيداً"[3]

"وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِن بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ" سورة الروم، الآية 51.

أثر الضلالة والكفر في الفقر وقلة الحيلة، فالإيمان فكرة لو آمن قلبك لآمن جسدك كما قال العتوم.

"كمن يمر عليها وهو عن آياتها من الغافلين؟"[4]

"نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ " سورة يوسف، الآية 3.

جاءت لفظة الغافلين مصرحة مباشرة لفظاً كما في الآية القرآنية الكريمة.

"ما قتلنا أحداً عن ريبة"[5]

"لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ " سورة التوبة، الآية 110.

نلاحظ أن كلمة ريبة جاءت مصرحة كما جاء بها الكاتب بلفظ مخصص مباشر.

"ولا .... عن ميثاق، ففيم يكذب البشر؟"[6]

" قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ" سورة المؤمنون، الآية 66.

النكص مذكور في الرواية كما هو مذكور في سورة المؤمنون على وجه أكمل.

---

[1] أيمن العتوم: أنا يوسف، ص5.

[2] المصدر نفسه، ص7.

[3] المصدر نفسه، ص8.

[4] المصدر نفسه، ص6.

[5] المصدر نفسه، ص7.

[6] المصدر نفسه، ص7.

"الله يُعرف بالقلب لا بالنقل، ولو كان للبشر قلوب لما طاوعتهم أنفسهم أن يفتروا على الله"[1] "انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا" سورة النساء، الآية 50.

لفظة الافتراء جاء بها الكاتب كما هي في سورة النساء صريحة مباشرة.

ولو كانوا يعرفون الله كما نعرفه لما عصوه، ولو كانوا أمناء في التبليغ عنه كما نفعل لما ظلوا، ولو كانوا يدركون أن الأرزاق تجري على الأقدار لما اقتتلوا، هل المحبة إلا رزق؟ وهل الفهم إلا رزق؟ وهل الإيمان إلا رزق؟ لكنهم لما تركوا قلوبهم للحسد، وأرواحهم للطمع وعقولهم للجهل، وأنفسهم للشيطان، ضلوا ضلالا بعيداً"[2]

"إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ" سورة النساء، ص167.

المطلب الثاني: التناص المؤول (غير المباشر لفظاً)

وهو ما يمكننا أن نطلق عليه أيضاً التناص اللاشعوري أو تناص الخفاء، وقد يكون المؤلف غير واعٍ بحضور النص أو النصوص الأخرى في نصه الذي يكتبه، ويحتاج هذا التناص إلى ثقافة واسعة عند الباحث وإلى معرفة واطلاع واسعين، ويندرج تحته التلميح والرمز والتلويح والإيماء والإشارة، وهو عملية شعورية يقوم بها الأديب باستنتاجات مع النص المتداخل معه، إبراز أفكار معينة يوحي بها الرمز ويرمز إليها في النص الجديد، وتعتمد هذه الأنماط على فهم المتلقي وتحليله للنص.

فالتناص المؤول، يعني أن يشير المتكلم في أثناء كلامه ومعاطف شعره أو خطبه إلى مثل سائر أو شعر نادر أو قصة، فيلمحها فيوردها لتكون علامة في كلامه، وكالشامة في نظامه، أو هو الإيماء المباشر أو غير المباشر في الشعر والنثر إلى قصة معلومة أو مثل سائر أو بيت مشهور من الشعر من غير تفصيل.[3]

وقد قال عنه السبكي في عروس الأفراح: التلميح أو التمليح، وهو الإشارة في الكلام إلى قصة أو مثل أو شعر من غير تفصيل، ومثال ذلك قول أبي تمام من بحر الكامل:

فَوَاللهِ ما أَدري أَأَحلامُ نائِمٍ أَلَمَّت بِنا أَم كانَ في الرَكبِ يوشَعُ

فقد أشار أبو تمام إلى قصة يوشع بن نون فتى سيدنا موسى وقصته في استفاقة الشمس.

أما الإشارة إلى الشعر ففي قول الشاعر من بحر الطويل:

لعمروٌ مع الرمضاءِ والنارُ تلتظي أَرَقُّ وأَحفَى منكَ في ساعة الكَرْبِ

وهي إشارة للبيت المشهور من بحر البسيط:

[1] أيمن العتوم: أنا يوسف، ص7.

[2] المصدر نفسه، ص7.

[3] القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، شرح: محمد خفاجي، ط3، منشورات دار الكتاب، ص338.

المستَجيرِ بعمرو عِنْدَ كرْبتِه كالمستَجيرِ مِن الرَّمضاءِ بالنارِ.[1]

حاول النص أن يصور لنا مشهد محاولة زليخة امرأة العزيز أن توقع بالنبي في شراك الخطيئة وذلك بإغوائه وجره نحو الرذيلة، ولكن كيف لطائر قدسي أن يقع في الشراك الذي ينصب للغراب والحدأة. "وغلّقت الباب الأول حتى دخلت المزاليج في المزاليج والبكرات في البكرات والظلفة في الظلفة، فكأنه قطعة من جدار لا ينفك عنه، ثم هتفت: أطبقي شهي. ومضت به إلى الغرفة الثانية وغلّقت بابها وتقدمته، فغلقت الباب الثالث... وغلقت الباب الرابع وقالت: ولم تمتد له يدٌ قبلك. وغلقت الباب الخامس... وغلقت الباب السادس... وغلقت الباب السابع".[2] حاول الكاتب سرد التفاصيل والأحداث استناداً على ما جاء في القرآن الكريم الذي هو أحسن قولاً وأبلغ وصف، فيخبرنا الله تعالى عن امرأة العزيز التي كان يوسف في بيتها بمصر وقد أرضاها زوجها به وبإكرامه، فراودته عن نفسه ودعته إليها، وذلك أنها أحبته حباً شديداً لجماله وحسن بهائه، فحملها ذلك على أن تجملت له وغلقت عليه الأبواب ودعته إلى نفسها فامتنع عن ذلك أشد الامتناع. "يا سيدتي، أنا ربيبكم، وإن الإحسان لا يجازى بالإساءة... أين أذهب من وجه سيدي حين أراه؟!"[3]

وكانوا يطلقون اسم الرب على السيد الكبير، وكان صاحب فضل عليه فكيف يقابله بالفاحشة في أهله، يقول الله تعالى: "وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ" سورة يوسف، الآية 23.

كانت زوجة العزيز على ضلالة لدرجة ظنها أنها بإغلاقها سبعة أبواب لن تكشف بشاعة ذنبها، وكأن سبعة أبواب ستخفي ذنبها على الله تعالى "يا يوسف إنها سبعة أبواب وقد غلّقتها لأكون لك. فأجابها بقوله: "إن النار لها سبعة أبواب"[4] يشبه الكاتب الحجرات السبع التي مر بها يوسف والأبواب التي أغلقت خلفه بأبواب جهنم، وجاء ذلك في القرآن الكريم في قوله تعالى: "وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُوم" سورة الحجر، الآية 44.

لم يكن لنبي من أنبياء الله أن يكون مفسداً أو أن يرتكب ذنباً لأنهم معصومون عن الخطأ، ولم يكن له أي حل سوى أن يهرب من مسرح الخطيئة. "وكانت تدنو منه خطوة ويرجع عنها خطوة، حتى إذا وصل إلى باب الغرفة السابعة استدار، وبكل ما أوتي من قوة فتح المزاليج وانطلق يركض... وفتح الباب السابع وعدا وكانت تعدو خلفه مهتاجة، وعبرا الأبواب كلها حتى إذا عاد إلى الباب الأول استعصى الباب على يوسف... فوقعت على كتفه فانشق لها قميصه... وانفتح الباب من الخارج دون عناء، وبرز في فتحة الباب وجه العزيز وهتفت كأنها تدربت

[1] ديوان أبو تمام.

[2] أيمن العتوم: أنا يوسف، ص186.

[3] المصدر نفسه، ص187.

[4] المصدر نفسه، ص190.

على العبارة ألف مرة: كيف تتركه دون أن تقتص منه، اقطع رجليه ويديه وعلقه على باب القصر حتى يراه الناس... بل اسجنه"[1] يصف الكاتب ما جرى في ذلك الزمن ويورد أحداثاً استناداً على ما جاء في القرآن الكريم وما فسره المفسرون. فحين فتح الباب خرجا يتسابقان، يوسف يحاول الهرب والمرأة تطلبه ليرجع إلى البيت فلحقته في أثناء ذلك فأمسكت بقميصه من ورائه فقدته قداً فظيعاً يقال أنه سقط عنه، استمر يوسف هارباً وهي في أثره حتى وجدا سيدها وهو زوجها. وكما ورد في الرواية باسم قِطْفير عند الباب، فعند ذلك خرجت مما هي فيه بمكرها وكيدها وقالت لزوجها متنصلة وقاذفة يوسف بدائها ومطالبة زوجها بأن ينزل عليه أشد أنوع العذاب أو أن يسجنه. وأورد الكاتب الآية القرآنية مؤولة ومتصرفاً فيها، يقول تعالى: "وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ" سورة يوسف، الآية 25.

دائماً ما كان حبل الكذب قصير وكذلك الافتراء، فلابد من الحقائق من يوم تنكشف فيه، وكذلك في قصة النبي لم يطل الأمر كثيراً حتى كشفت الحقيقة "كيف يعقل لرضيع أن يتكلم... ونطقت الشفتان: إن قميصه هذا ليشهد بالحق خيراً مني، فانظروا الشق فيه، فإن كان في صدره فهي صادقة وتلزمه العقوبة، وإن كان في ظهره فهو الصادق وتلزمها العقوبة"[2]. وفي محاولة منه للدفاع عن نفسه، يذكر النبي ما جرى وأنها تبعته تجذبه إليها حتى قدت قميصه أي مزقته. وشهد شاهد من أهلها، وحسب ما ذكر في الرواية فهو رضيع من أهل بيتها، ما مفاده أنه إذا ما كان قميصه قد مزق من جهة صدره فهي بذلك كانت تحاول صده والدفاع عن نفسها ويكون هو من روادها عن نفسها، وإن كان عكس ذلك يكون كما وقع حقا، لما هرب منها وتطلبته وأمسكت بقميصه من ورائه لترده إليها فشقته من ورائه وهذا يثبت براءته. لم يرد أي حديث لرسول الله يثبت فيه أن الرضيع هو من شهد، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله قال: "لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى، وكان في بني اسرائيل رجل يقال له جُرَيْج، كان يصلي جاءته أمه فدعته فقال أجيبها أو أصلي، فقالت: اللهم لا تُمته حتى تريه وجوه المومسات، وكان جريج في صومعته، فتعرضت له امرأة وكلمته فأبى، فأتت راعياً فأمكنته من نفسها، فولدت غلاماً فقالت: من جريج، فأتوه فكسروا صومعته وأنزلوه وسبوه، فتوضأ وصلى ثم أتى الغلام فقال: من أبوك يا غلام؟ قال: الراعي، قالوا: نبني صومعتك من ذهب؟ قال: لا، إلا من طين. وكانت امرأة ترضع ابناً لها من بني إسرائيل، فمر بها رجل راكب ذو شارة فقالت: اللهم اجعل ابني مثله، فترك ثديها وأقبل على الراكب فقال: اللهم لا تجعلني مثله"[3]. فلم يحدد القرآن الشاهد إذا ما كان كبيراً أو صغيراً، يقول تعالى: "قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ " سورة يوسف، الآية 26-27.

[1] أيمن العتوم: أنا يوسف، ص191، ص192.

[2] المصدر نفسه، ص193.

[3] صحيح البخاري، الحديث رقم 3436، ص1529.

وهل هناك أسرع من البرق الخاطف في الليلة الدامسة، هكذا يصف العتوم سرعة انتشار فضيحة قصر زليخة بنت الأشراف وزوجة أحد أسياد مصر "وظلت الألسنة تلوك الفضيحة شهراً ووصلت الكلمات إلى زليخة... وطلبته إلى غرفتها: أنا آمرك أن تلبس غداً ثياباً أعددتها لك... ثم تدخل مجلسي لتقدم لي الفاكهة، عندي حفل سمر ونساء مصر سيحضرن... فلتتناول كل واحدة منكن السكين الذي أمامها... ثم صفقت بيدها، كان يوسف في تلك اللحظة يدخل حاملاً فاكهة السيدة وغاص السكين في الأترجة ووصل إلى أيديهن، غاص في اللحم كما يغوص في قطعة الزبد"[1] ومن شدة جماله عقدت ألسنتهن وقلن فيه: "إنه ملك هذا ليس بشر"[2] فقد وصل خبر يوسف وامرأة العزيز إلى كل أنحاء مصر حتى تحدثت الناس به وصار شغلهم الشاغل، مثل نساء الكبراء والأمراء اللواتي عبن عليها فعلها الشنيع وخاصة أنها ذات حسب ونسب، فكيف تكون على علاقة بأحد عبيدها. عندما سمعت بذلك وجهت إليهن دعوة لتستضيفهن بيتها، ولم تكن هاته الدعوة إلا مكيدة لتثبت لهن أن أي واحدة منهن لو كانت مكانها لفعلت فعلتها أو أكثر، وكانت قد خبأته في مكان آخر، فلما دخل عليهن سحرهن جماله وجعلن يقطعن في أيديهن وقلن لها لا نرى عليك من لوم وغفرن لها. وفي جمال النبي يوسف يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عرج بي جبريل إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد صلى الله عليه وسلم، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا. فإذا أنا بيوسف عليه السلام، إذا هو قد أعطي شطر الحسن. فرحب ودعا لي بخير".[3] وما أورده الكاتب مصدقاً لقوله تعالى: "فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ واحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّيناً وَقالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حاشَ لِلَّهِ ما هذا بَشَراً إِنْ هذا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ" سورة يوسف، الآية 31.

عصم الله نبيه يوسف عصمة كبيرة وحماه من كيد نسوة مصر الغافلات، فامتنع عنهن أشد الامتناع واختار السجن على ذلك، وهذا في غاية مقامات الكمال، أنه مع شبابه وجماله وكماله تدعوه سيدته وهي امرأة العزيز بالإضافة إلى جمالها البارع ومالها الوافر ومكانتها العظيمة يمتنع عن ذلك ويختار السجن خوفاً من الله تعالى ورجاءً لثوابه.

وبالإضافة إلى العصمة، فإن نبي الله يوسف كان عالماً بتأويل الأحلام والرؤى، ولا نقول تعبير الرؤى فهناك فرق كبير بين المصطلحين، فالتأويل أقوى من التعبير، فالتأويل هو مصير الشيء ومرجعه ولا يكون بالكلام كالتعبير وإنما بالوقوع. "وقال يوسف: سيأتيكم اليوم عدس مجروش مرٌ طعمه، وسيأتيكم خبز أسود أعرف من خَبَزه وإنه ليعرفني، وماء أزرق أعرف من سكبه وإنه ليعرفني"[4] والمقصود بخطابه هنا ساقي الملك وخبازه اللذان كانا قد جاءاه ليفسر لهما حلماً، رأى أحدهما أنه يعصر خمراً والآخر يحمل فوق رأسه خبزاً تأكل الطير منه، فأوَّله لهما وصدق ما

[1] أيمن العتوم: أنا يوسف، ص205، ص207.

[2] المصدر نفسه، ص207.

[3] مسلم بن حجاج: صحيح مسلم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1991، ص150.

[4] أيمن العتوم: أنا يوسف، ص231.

قاله، فأما الذي رأى أنه يعصر خمراً رجع إلى خدمة الملك، وأما الذي كانت تأكل الطير من رأسه فصُلب وضل على حاله حتى أكلت الغربان من رأسه، يقول تعالى: "قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَاۚ ذٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّ" سورة يوسف، الآية 37.

النص متشبع بالقرآن إلى حد بعيد، وهذا يعكس توجه الكاتب وايديولوجيته، فلم يتكفِ بصورة يوسف وقصته وإنما حاول أن يحيط بكل أو معظم سور القرآن ولو بآية أو كلمة أو حتى فكرة، يقول: "وإنما يأتي كذلك مع الطفل الذي نما واشتد عوده وقويت شكيمته فظن أن الله غير قادر عليه فأعاده في شيخوخته طفلاً كما كان"[1] فيخبرنا تعالى في إحدى سور القرآن أن الإنسان يُخلق ضعيفاً فيكون طفلاً عاجزاً، ثم ما يزال الله يزيد في قوته شيئاً فشيئاً حتى يبلغ سن الشباب والفتوة تكتمل قوته الظاهرة والباطنة، ثم ينتقل من هذا الطور ويرجع إلى ضعفه شيخاً هرماً عاجزاً كما كان في طفولته يوماً، يقول تعالى: "اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ" سورة الروم، الآية 54.

"إننا لمحظوظون إذ قبل هذا الملك أن يسمح لنا بالدخول عليه، ما أشد تواضعه، ووقف يوسف ينظر إليهم ملياً... وكاد يجري نحوهم ليحضنهم".[2] "ذكر المفسرون أن السبب الذي أقدم إخوة يوسف بلاد مصر أن يوسف عليه السلام لما باشر الوزارة بمصر ومضت السبع سنين المخصبة ثم تلتها السبع سنين المجدبة، وعم القحط بلاد مصر بكاملها ووصل إلى بلاد كنعان وهي التي فيها يعقوب عليه السلام أسباطه، وحينئذ احتاط يوسف عليه السلام للناس في غلاتهم وجمعها أحسن جمع، فحصل من ذلك مبلغ عظيم وورد عليه الناس من سائر الأقاليم يمتارون لأنفسهم وعيالهم"[3] وكان لا يعطى الرجال أكثر من حمل بعير في السنة، وكان عليه السلام لا يشبع نفسه ولا يأكل هو والملك وجنودهما إلا أكلة واحدة في وسط النهار، حتى يتجاوزوا بالناس السبع سنين العجاف. ومن بين الذين وردوا مصر طلباً للكيل إخوة يوسف بعد إذن أبيهم، فقد بلغهم أن عزيز مصر يعطي الناس الطعام بثمنه، فأخذوا معهم بضاعة يتبادلون بها طعاماً، فلما دخلوا على يسوف وهو جالس في عرشه عرفهم حين رآهم وهم لم يعرفوه، لأنهم فارقوه وهو صغير وباعوه للقافلة ولم يعلموا في أي بلاد تم بيعه ولم يتوقعوا أنه سيصير بهذا الشأن يوماً، يقول تعالى: "وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ" سورة يوسف، الآية 58.

الذين جاءوا من إخوته هم: يهوذا، شمعون، لاوي، روبيل، نفتالي، يشجر، زيالون، جاد، آشر ودان. وقد ذكرهم القرطبي في كتابه "الجامع لأحكام القرآن". ودَّ النبي لو أن أخاه الشقيق كان معهم –بنيامين– وطالبهم به بعد أن أدرك أنه ليس معهم وجعله شرطاً حتى يكتالوا في المرة القادمة أن يكون معهم "وأين أخوكم هذا الذي تركتموه وراءكم فإنني أريد أن أراه فائتوني به، ثم لما صار وقت توزيع الطعام رأوا الجند يزيدون في المقادير لهم ويملؤون

[1] أيمن العتوم: أنا يوسف، ص253.

[2] المصدر نفسه، ص299.

[3] ابن كثير: تفسير سورة يوسف، ص53.

رحالهم كلها فتفيض عن جوانبها، وكانوا يكيلون لهم أجود القمح"[1] أوفى لهم الكيل بزيادة ترغيباً كي يرجعوا المرة القادمة ولكن ترك فيهم إحساساً بأنه لم يصدق أنهم إخوة وأن لهم أخاً آخر، وصار وجوده شرطاً كي يكيل لهم في المرة القادمة، يقول تعالى: "لَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ" سورة يوسف، الآية 59.

ولم يكتفِ بترغيبهم وترهيبهم فقط بل عمد إلى ما هو أكثر، فقد علم مرباهم وأصلهم وأنهم سيعودون لا محالة في حال ما إذا رد بضاعتهم في رحالهم، "وأعاد العزيز معهم النقود التي جاءوا بها ليدفعوها إليه، جعلها في البضاعة لا يعرفون عنها إلا حين يفتحونها"[2] وهناك من المفسرين من يرد سبب إرجاعه بضاعتهم في رحالهم أن النبي خشي أن لا يكون عندهم بضاعة أخرى يرجعون للميرة بها أو حياءً أن يأخذ من أبيه وإخوته عوضاً عن الطعام، أو أن يردهم إليه إذا وجدوها في متاعهم تحرجاً وتورعاً لأنه يعلم ذلك منهم، يقول تعالى: "وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ" سورة يوسف، الآية 62.

وشدد النبي عليهم في موضوع أخيهم وأن لا كيل لهم إذا لم يحضر معهم وذلك لشدة شوقه إليه، فقد مرت أعوام طويلة مذ رآه آخر مرة فلا يذكر شكله كيف كان ولا كيف أصبح. ويشتاق لرؤيته ليزيل حسرته لأخيه الصغير "إننا على الوعد، إن جئتم المرة القادمة بأخيكم فسأعطيكم أضعاف ما أعطيتكم اليوم... الكيل بيني وبينكم، إن لم تفعلوا فلن أبعث معكم حبة قمح واحدة".[3] بعد أن بالغ في الإحسان إليهم وأجزل لهم العطاء، طلب منهم أخاه وكان على دراية أنهم سيسعون في إحضاره رغم صعوبة الأمر وذلك مقابل إحسانه لهم وعطفه عليهم، يقول تعالى: "فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ" سورة يوسف، الآية 60. وعادوا إلى أرض كنعان وكلهم أمل أنهم سوف يعودون إلى مصر مع أخيهم بنيامين، لعل يعقوب النبي يرسله معهم "ها أنت ترى بعينيك يا أبي بضاعتنا رُدت إلينا، أموالنا وأقطنا وإننا لحريصون على أخينا بنيامين فأرسله معنا... ولسوف نحفظ أخانا في قلوبنا"[4] علم بنو إسرائيل أن أباهم لم يسمح لهم بأخذ أخيهم معهم، وكيف يسمح وذكرى يوسف لم تمت بعد، فما أشبه اليوم بالبارحة حين أمنهم على أخيهم فلم يعودوا له إلا بدموع التماسيح وقميص عليه آثار دماء وعذر أصبح من ذنب، ولكن إن لم يسمح لهم فسيذهب ضحية خيانتهم أكثر من يوسف واحد، فكل العشيرة تعتمد على ذهاب بنيامين إلى مصر. يقول تعالى: "فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" وقال أيضاً: "وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ" سورة يوسف، الآية 63-65.

[1] أيمن العتوم: أنا يوسف، ص300، ص301.

[2] المصدر نفسه، ص301.

[3] المصدر نفسه، ص301.

[4] المصدر نفسه، ص304.

"وهتف يعقوب: رددوا خلفي فتأهبوا: لقد عاهدنا أبانا بأن نحمي بنيامين وندافع عنه بأرواحنا ونفتديه بأنفسنا وألا نتخلى عنه، إلا إذا متنا بين يديه أو هلكنا دونه أو غلبنا في معركة لم نكن لها أكفاء، وعلى هذا أخذ أبونا منا عهد الله وميثاقه. فرددوا الوعد خلفه كلمة كلمة وحرفاً حرفاً ثم جمعوا أيديهم".[1] أخذ منه وعداً بأن يردوه إليه سالماً وجعل الوعد لله بأن يردوه ما لم يغلبوا كلهم ولا يقدرون على تخليصه وتخليص أنفسهم، يقول تعالى: "قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ" سورة يوسف، الآية 66.

وشدوا رحالهم إلى مصر ليستوفوا القمح وأخذوا بنصيحة أبيهم وإرشاده لهم تحسباً ألا تحل بهم مصيبة. "ودخلوا مصر من أبوابها الأربعة"[2] كانت تلك وصية أبيهم بأن يدخلوا من عدة مداخل وذلك لحاجة في نفسه، وكما يرجع بعض المفسرين أنه خاف عليهم من الحسد لأنهم كانوا عصبة شديدة وأعطاهم الله بسطة في الجسم وحسناً يحسدون عليه ولكن لا مرد لأمر الله، يقول تعالى: "وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا ۚ وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" سورة يوسف، الآية 68.

"ودخلوا على العزيز وكان ينتظرهم وقد وضع التاج وجلس على العرش... وأشار إلى الحرس بأن يقربوا إليه بنيامين، واقترب بنيامين من العزيز، فلما صار قريباً جداً منه هم يوسف بأن يهوي فيحضنه... واقترب منه، ودون أن يسمعهما أحد قال له: إني أنا أخوك فلا تحزن".[3] لما قدم إخوته إليه ومعهم أخوه الأصغر أنزلهم أحسن منزل وأفاض عليهم الألطاف والإحسان، وانفرد بأخيه وأطلعه على شأنه وما جرى له وعرَّفه أنه هو أخوه، وقال له لا تأسف لما صنعوه بي وأمره بكتمان ذلك عنه، يقول تعالى: "وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" سورة يوسف، الآية 69.

"وغدت القافلة السير وما كادت تسير قليلاً حتى هتف رئيس الجند: توقفوا توقفوا... أيها اللصوص. والتفت الإخوة حولهم وظنوا أنه يخاطب سواهم، لكنه لم يكن في الدرب المتوجهة إلى فلسطين غيرهم، وجاءهم الصوت منذراً: أيها اللصوص، إلى أين تذهبون؟"[4]

كانت حيلة النبي لاستبقاء أخيه أن يتهم إخوته بالسرقة "وأقبلوا على رئيس الجند: يا عالي المقام، ماذا حدث؟... – سرقتم صواع الملك الفضي. وهتف صوت آخر كان يركض من جهة القصر: إن الملك يقول إنه من

[1] أيمن العتوم: أنا يوسف، ص306.
[2] المصدر نفسه، ص309.
[3] المصدر نفسه، ص311.
[4] المصدر نفسه، ص314.

يأتي بالصواع فله بعير كامل محمل بالقمح"[1] ولما جهزهم وحمل لهم دوابهم بالقمح انطلقوا عائدين إلى فلسطين، إلا أن استوقفهم صوت الحرس يتهمهم بالسرقة ويأمرهم بالتوقف، والمسروق كان إناءً من فضة وقيل أنه من ذهب يشربون فيه ويكيلون به، يقول تعالى: "فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ" سورة يوسف، الآية 70-72.

وحاول استمالتهم بأن يعترفوا بذنب لم يرتكبوه أصلاً وكان الجزاء مغرياً حِمل كامل من القمح مع الضمان بعدم التعرض لمن أخذه أو أذيته "فضحك راوبيل وإخوته في أعماقهم، وهتف: نحن أبناء نبي ولا نسرق، وما جئنا إلا لغاية العودة إلى أهلنا بالطعام وقد دفعنا ثمن ما اشترينا... نحن لسنا لصوص، نحن كرام من كرام. وقال الملك: فإن ثبتت عليكم السرقة؟. رد يهوذا بكل ثقة: فاسترِق السارق ليكون عبدك الذليل. هذا جزاؤه، ونحن لن نرحمه"[2]. نفى الإخوة عنهم ذنب السرقة بحجة أنهم أبناء نبي وتربوا في حجر الأنبياء إبراهيم وإسحاق ونسوا أنهم فرطوا في أخيهم من قبل وأن غايتهم كانت القمح وفقط، كان في شريعة إبراهيم خليل الله وقوانينه من قبل أنه إذا ما أقدم أحدهم على السرقة فإنه يصير عبداً للمسروق منه، وهذا كان جوابهم وكلهم ثقة أنه إذا كان السارق منهم فسيصير عبداً للعزيز على حسب شريعتهم في أرض كنعان، يقول تعالى: "قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ" سورة يوسف، الآية 73-75.

"وبدأ بوعاء الأخ الأكبر روبيل وأفرغ جوالقه على الأرض... وثنّى بيهوذا وراقبه يهوذا بعينين متحديتين ورفع الملك الجوالق الفارغة بيديه ونفضه... ثم ثلّث بلاوي، وهكذا واحداً واحداً... ثم حمل جوالق بنيامين إلى منتصف حلقة الناس ليشهدوا على الأمر ثم فتحه، فإذا الصواع الفضي يلمع على ضوء الشمس"[3] وبدأ يوسف بتفتيش أحمالهم قبل حمل أخيه لأنه إذا بدأ به فسيشكون أنه من وضع صواعه هناك، وحين استخرجه من أكياس بنيامين أخذه إليه وصار واحداً من عبيده بحكم اعترافهم والتزامهم وإلزامهم بما يعتقدون، قال تعالى: "فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ" سورة يوسف، الآية 76.

"ويفسر المفسرون قوله تعالى "كذلك كدنا ليوسف" بأنه من الكيد المحبوب المراد الذي يحبه الله ويرضاه لما فيه من الحكمة والمصلحة المطلوبة".[4] فقد ألزمهم الحجة وذلك أنهم قطعوا جزاءهم بأنفسهم وأخذ النبي أخاه بهذه

[1] أيمن العتوم: أنا يوسف، ص314.

[2] المصدر نفسه، ص315.

[3] المصدر نفسه، ص316.

[4] ابن كثير: تفسير سورة يوسف، ص61.

المكيدة "ثم رفع يهوذا رأسه ببطء نحو الملك: والله ما كانت السرقة غريبة عليه إن أخاه يوسف من قبل قد سرق. واستنكر الملك: أخاه يوسف؟ فماذا سرق؟. – سرق حزام جده إسحاق. – إنكم لشر أهل الأرض على ما يبدو. تسرقون وتنكرون وتعطون فلا تشكرون وتأكلون ولا تشبعون"[1] ولم يكن لاتهامهم ليوسف أي أصل "كان ليعقوب النبي أخت بحسب ما جاء في بعض المصادر الإسلامية هي بنت النبي إسحاق واسمها فائقة"[2] فائقة هي عمة النبي يوسف، وكانت تحبه حباً جماً عندما كان صغيراً، فقد توفيت أمه وهو بعمر 5 سنوات، وحتى تحظى بتربيته وتجعل أباه يعقوب يوافق على ذلك، عمدت بالاتفاق مع يوسف إلى إعطائه حزام الأنبياء الذي ورثته من أبيها إسحاق، ثم ادعت أن أحداً ما سرقه. وعندما وجدوه مع يوسف طالبت بأن يجازى على ذلك بأن يصبح عبداً لها لمدة أربع سنين، وذلك وفقاً لشريعة إبراهيم. وهكذا استطاعت بتلك الحيلة أن تظفر بتربية النبي يوسف لبضعة سنين إلى أن حضرتها الوفاة وكان يوسف لايزال صغيراً، فأخبرت الجميع بأن يوسف كان بريئاً وأنها عمدت إلى تلك الحيلة حتى تتمكن من تربيته لما رأت فيه من الذكاء والفطنة والعلامات التي تدل على أنه سيكون وريث أبيه يعقوب في النبوة. وطلبت إبلاغ الناس بأنها قامت بهذه المكيدة حتى يعلم الجميع بأن يوسف بريء. بسبب حقدهم على أخيهم اتهموه بالسرقة وهم يعرفون حقيقة ما جرى، ورغم قساوة التهمة إلا أن يوسف كتم غيضه في نفسه وكان ود لو يقول لهم أنت أشد خلق الله شراً في الأرض وإن الله هو أعلم بما حدث في ذلك الزمن، يقول تعالى: "قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ" سورة يوسف، الآية 77.

"واقترب راوبيل منه وجثا على ركبتيه وتوسل إلى الملك: خذ أحدنا مكانه أيها العزيز إنك لكريم وإن إحسانك قد بلغ الكمال حتى سمع به أهل الأرض فلا تسؤنا في أخينا هذا إن أباه سينحدر إلى الموت لو علم أننا لم نعد به. قال: كلا لن أكون عادلاً كل السنوات السابقات وأظلم اليوم، يُسترق من سرق"[3]. أدرك بنو إسرائيل أن التاريخ يكرر نفسه، فبالأمس جريمة مقصودة وفرطوا بيوسف بأيديهم واليوم يؤخذ منهم أخاهم عنوة ولم يتركوا وسيلة لاستبقائه لم يعمدوا إليها وأدركوا عاقبة ذنبهم الأول على ما سيجري بعد أن أخذ أخاهم عبداً أسيراً فلا شفيع لهم اليوم أمام أبيهم ولا تبرير يُداري جريرتهم، رجاءهم وتوسلهم للعزيز لن يغني عنهم شيئاً، وهو مصر على أن يحتفظ بأخيه بنيامين ولا أحد آخر منهم، يقول تعالى: "قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ ۖ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ" سورة يوسف، الآية 78-79.

[1] أيمن العتوم: أنا يوسف، ص317.

[2] الطُبرسي: تفسير مجمع البيان، مؤسسة التعلمي، بيروت، ج5، ط1، 1995، ص439.

[3] أيمن العتوم: أنا يوسف، ص318.

"وإن شئت جئناك بالقوافل التي رأت الملك يُخرج الصواع من رحل بنيامين، فطلبنا منهم أن يخبروك، واسأل القرى التي كانت في الطريق، والإبل التي رملت في الصحراء... بل اسأل من شئت يخبرك بصدق مقالنا وحالنا"[1] ولم يكن ليصدقهم لأنه سبق وأن عاش تجربة مماثلة فينطبق عليهم المثل القائل كذب المنجمون ولو صدقوا، بأخذهم يوسف وتفريقه عن أبيه ظن يعقوب أنهم أقدموا على نفس الجناية ولو جاؤوا بملء الأرض شهوداً على أنهم برءاء ولم يكيدوا لبنيامين فلن يصدقهم، يقول تعالى: "وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ" سورة يوسف، الآية 82-83.

"قام يهوذا وهو يحمل قميص يوسف وقال: إنني اليوم أريد أن أكفر عن ذنبي، فأكون أول من يحمل بشارة خاصة من يوسف: إن معي قميصه. وأسدله يهوذا برفق على رأس أبيه ثم رفعه، فإذا عينا يعقوب تريان كل شيء"[2] وكان يهوذا هو من حمل القميص من مصر إلى فلسطين لأنه نفسه من جاءه بقميص يوسف ملطخاً بالدماء من قبل وكأنه يريد أن يغفر له أبوه ويبدد ذكرى يوسف الأليمة بذكرى طيبة، ويقال بأن يعقوب قد كان يشم ريح يوسف في الأجواء مذ انطلقوا من مصر، وحتى وصولهم فلسطين بل إن أهله اتهموه بالجنون، فيوسف قد مر على رحيله أكثر من 40 سنة، يقول تعالى: "اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هذا فَأَلْقُوهُ عَلى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْ لا أَنْ تُفَنِّدُونِ قالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ الْقَدِيمِ فَلَمَّا أَنْ جاءَ الْبَشِيرُ أَلْقاهُ عَلى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً قالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ" سورة يوسف، الآية 93-96.

ورد في الرواية وصفين لحاكم مصر: "وقال الملك للساقي: الملك عفا عنك، جئن قبل سنين إلى الملك يتشفعن فيك"[3] وورد في نهاية الرواية وصف آخر: "وقال الفرعون، ثم مات الفرعون، وجاء فرعون آخر"[4] لقد ورد في القرآن كلا اللفظين، ويقصد بهما من يحكم حضارة مصر في غابر الأزمان، إلا أن هناك فرق بين الوصفين، يقول تعالى في أحد الآيات: "وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ ۖ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ " سورة يوسف، الآية 43. ووردت في أكثر من موضع، وكذلك كلمة فرعون قد وردت في القرآن أربعة وسبعون مرة، يقول تعالى: "ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ فَظَلَمُواْ بِهَا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ" سورة الأعراف، الآية 58. وكذلك يقول

[1] أيمن العتوم: أنا يوسف، ص324.

[2] المصدر نفسه، ص342.

[3] المصدر نفسه، ص280.

[4] المصدر نفسه، ص374.

تعالى: "وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ" سورة الحاقة، الآية 9. "فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا" سورة المزمل، الآية 16.

سمى القرآن الحاكم في زمن يوسف ملكاً ولم يسمه فرعون لأن "هذا الملك لم يكن من الفراعنة ملوك مصر القبط، وإنما كان ملكاً لمصر أيام حكمها (الهكْسُوس) وهم العمالقة، وهم الكنعانيين أو من العرب، ويعبر عنهم مؤرخوا الإغريق بملوك الرعاة أي البدو".[1] أما كليم الله موسى عليه السلام فعاش حسب المؤرخين في القرن الثالث عشر قبل الميلاد وعاصر زمن الفراعنة وهم الحكام المصريون أي أصلهم مصري، ومعنى كلمة فرعون هو البيت العظيم، ولكن عمم فيما بعد ليصبح لقباً للحاكم.

"إذا سقط القلب في الحب فلن ترفعه كل عظات الفلاسفة، يستطيع كل الفلاسفة أن يجدوا حلاً لمشكلات الناس كلها إلا الحب فإنه يستعصي على كل فهم، وينفلت من كل تقنين، قالت له في عقلها: ابتليت بك فأذللتني بدل أن تعزيني وأسقطتني بدل أن ترفعني فهل تظن أنني سأنسى ذلك؟ وحق الآلهة التي تؤمن بها لأمرغن أنفك في التراب"[2].

"الجائع من لم تطعمه الحكمة، الإيمان أمان لو آمن قلبك لآمن جسدك".

"مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" سورة النحل، الآية 97.

"الجالسون في أرض ظلال الموت، لأشرق عليهم نور، والله نور، ولا نور إلا به أو منه أو فيه، إذا أشرق وجه الله على أحد فأنى أن تغتاله الظلمة، أليس في وجهه غنى عن كل وجه"[3]. أثر العمل الصالح في نهاية قصة يوسف عليه السلام.

فالله نور تستنبط من الآية الكريمة الموجودة في سورة النور في قوله تعالى: "اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ". سورة النور، الآية 35.

والاقتباس الثاني يتواصل بشكل مباشر مع سورة الرحمان، "كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ" سورة الرحمان، الآية 26-27.

"لا غالب إلا الله".

---

[1] ابن عاشور: التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1999، ص250.

[2] أيمن العتوم: أنا يوسف، ص08.

[3] المصدر نفسه، ص182.

"وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" سورة يوسف، الآية 21.

النقطة الفاصلة والتحول الجذري في الرواية وفي النص القرآني هي هذه الآية، و"اللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" فباعوه بثمن بخس بدراهم معدودة، ورمي في الجب، ودخل السجن، إلا أنه في الأخير كان الله معه لأنه هو كان مع الله، ومن كان مع الله كان الله معه، معادلة.

"التراب يعود إلى التراب"[1]

"وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ" سورة الروم، الآية 20.

"الطوفان الحارق لم تنتج منه أمة ولا نبي، ولا عصر ولا مكان، لكن الله يصطفي من يشاء"[2]

"اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ" سورة الحج، الآية 75.

"فإن تمسكتم بحبل الله المعقود على الشورى نجوتم، وإن تمسكتم بحبل الشيطان المجدول على الشر هلكتم"[3] فنعمة الاصطفاء هي للأنبياء والأتقياء فقط.

"وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ" سورة آل عمران، الآية 103.

"تلك هي الطامة"[4]

"فَإِذَا جَاءتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ" سورة النازعات، الآية 34.

"يوسف أسر الفؤاد"[5]

"قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ" سورة يوسف، الآية 77.

فأسرها في نفسه ولم يبدها لهم، بعض الأشياء لا يليق فيها عتاب ولا جفاء وعقاب، إنما تُسر في الأنفس، ألم يقل الله والكاظمين الغيظ، فهنا لا جزاء للصبر غير الفوز في الدارين، دار الدنيا وفي الآخرة ونعم دار المتقين.

إنما يمتحنك ليمحصك، ويختبرك ليختارك، ويفتنك ليفتنك عن التعلق بسواه، ثم يستصفيك له فلا يعود للشيطان في روحك موضع".

تتقاطع مع الآية الكريمة: "لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ" سورة الأنفال، الآية 37.

---

[1] أيمن العتوم: أنا يوسف، ص282.

[2] المصدر نفسه، ص282.

[3] المصدر نفسه، ص212.

[4] المصدر نفسه، ص212.

[5] المصدر نفسه، ص212.

نلاحظ وبشكل جزئي تقاطع لعل التمحيص مع التميز كما هو في اللغة: "وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ". آل عمران، الآية 141.

"لا جزاء للصبر غير الفوز".

"قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ". سورة الزمر، الآية 10.

"لكل نار ماء يطفئها إلا نار الحسد، فإنها إن اتقدت أكلت الأكباد والقلوب، فإن أصابكم من حسد البشر وكيدهم فاصبروا واحتسبوا، فإنه لا جزاء للصبر غير الفوز، إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب"[1].

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" سورة آل عمران، الآية 200.

"ابتسمت كأنما علمت أن ما هو كائن كائن لا يمكن أن يوقفه شيء"[2].

"قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ" سورة التوبة، الآية 51.

فعل الصبر واضح وضوح الشمس في الرواية، فنجد الكاتب يكثر من هذا الفعل، ولدلالة وحاجة في نفسه، فلولا الصبر لما فاز يوسف، ودليل قوله من يتق ويصبر فإن الله لن يضيع أجر المحسنين.

"أنا لا أدعي الغيب، فلا يعلم الغيب إلا الله، ولكني أرى في ذلك الوادي"[3]

"قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ" سورة النمل، الآية 65.

كان التصريح هنا غير مباشر، فالتناص في الكلمة جاء مؤولاً لا عالم الغيب إلا الله.

"من هناك الكيد، هل يأكل الإنسان إلا أخاه؟ وهل يحزن الرجل إلا أباه؟ من هناك سيكبر قرن الشيطان حتى يعمي الأبصار، لكل نار ماء يطفئها، إلا نار الحسد فإنها إن اتقدت أكلت الأكباد والقلوب، فإن أصابكم من حسد البشر وكيدهم فاصبروا واحتسبوا، فإنه لا جزاء للصبر غير الفوز"[4]

"اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ" سورة الطور، الآية 16.

الكاتب في روايته قال اصبروا واحتسبوا، ولكن في سورة الطور جاءت: اصبروا أو لا تصبروا، فهنا اللفظة والصيغة مشابهة للفظة وهذا هو التناص المؤول.

"أشار إليه العسعاس ليقف على يمينه ويقربه منه نجيا"[5]

"وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا" سورة مريم، الآية 52.

جاء في سورة مريم: قربناه، والكاتب يقول يقربه، فاللفظة جاءت مؤولة غير صريحة.

---

[1] أيمن العتوم: أنا يوسف، ص152.

[2] المصدر نفسه، ص13.

[3] المصدر نفسه، ص8.

[4] المصدر نفسه، ص8.

[5] المصدر نفسه، ص10.

"العلم أولى بالتقدمة في المرتبة من السن، فإن السن يبلغه كل واحد، أما العلم فلا يؤتاه إلا ذو حظ عظيم"[1]
"وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ" سورة فصلت، الآية 35.
جاء في سورة فصلت: يلقاها، لكن الكاتب أولها بإتيان لا يؤتاه إلا ذو حظ عظيم، وهذا تناص مؤول غير مباشر وغير صريح.

المبحث الثاني: استعمالات الروائي للتناص العام والخاص

المطلب الأول: التناص البعيد العام في القصص القرآني

إن الكاتب في توظيفه للخطاب القرآني في الرواية لم يكتف بسورة يوسف فقط، بل وسع دائرة توظيفه للقرآن لتشمل سوراً أخرى ومعانٍ أخرى سواءً مصرحاً بها كما وردت أو تصرف فيها ووظف معناها دون لفظها.

يقول الكاتب: "أي فرج والموت أقرب إلينا من حبل الوريد"[2] وجاء هذا القول على لسان السجناء حين حاول النبي هدايتهم لدين الحق، وقد ورد هذا القول في القرآن الكريم في سورة ليست سورة يوسف، يقول تعالى: "وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ" سورة ق، الآية 16. بهذه الآية يخبرنا الله تعالى عن قدرته على الإنسان بأنه خالقه ويحيط بجميع أموره حتى ما توسوس له نفوس البشر من الخير والشر وأنه قريب إلى الإنسان أكثر من قرب الشرايين والأوردة، وفي وصفه للمنافقين يعود إلى سورة أخرى من سور القرآن، يصفهم بقوله: "يحسبون كل صيحة عليهم"[3] والنفاق في معناه هو إظهار الإنسان غير ما يبطن، وأصل الكلمة من النفق الذي تحفره بعض الحيوانات وتجعل له فتحتين، وسمي المنافق به لأنه يجعل لنفسه وجهين، يظهر أحدهما حسب الموقف الذي يواجهه، وقد أنزل الله فيهم سورة كاملة باسمهم في القرآن الكريم، يقول تعالى في وصفهم: "وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ" سورة المنافقون، الآية 4.

يقول تعالى في سورة الأعراف: "وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ" سورة الأعراف، الآية 57. وجاء جزء من هذه الآية في ثنايا الرواية لوصف حال مصر بعد أن تنقضي السنوات العجاف وتمطر

[1] أيمن العتوم: أنا يوسف، ص17.
[2] المصدر نفسه، ص231.
[3] المصدر نفسه، ص273.

السماء "ثم إذا أيس الناس في أرجاء الأرض وكاد الموت يفتك بكل من يدب على وجهها، يبعث الله حينئذ سحاباً ثقالاً وغماماً كثيفاً"[1]

"وبدا في الأيكة من خلف الجذوع الغليظة خيال ذئب يمر مر الساحبة لا ريثٌ ولا عجل"[2] وردت في الرواية جملة يمر مر السحاب وهو وصف أطلقه الله على الجبال لمن يراها يظنها ثابتة وهي تمر كالسحاب فتزول عن أماكنها، يقول تعالى في سورة النمل: "وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ" سورة النمل، الآية 88.

وجود معاني القرآن في الرواية يدل على أن الكاتب متأثر بشدة بالنص القرآني، فيحاول تضمين معانيه بكل الطرق وفي كل صفحات الرواية، فمثلاً يستحضر آية من سورة مريم للتعبير عن تحول أرض مصر من الجفاف إلى الخصب، ويصف النخل بقوله: "فيعصر أهل مصر التراب يسيل ماءً، والشجر فيسيل ثمراً، والنخل فيساقط رطباً"[3] وفي وصفه للنخل يتقاطع و=مع قوله تعالى لمريم بنت عمران حين ولدت نبي الله عيسى وكانت في قمة التعب "وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا" سورة مريم، الآية 25.

"إنني أدعو إلى الله لا إلى توحيد الآلهة، الله الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً"[4] كانت هذه هي غاية يوسف منذ البداية، أن ينشر دين التوحيد في مصر استكمالاً لرسالة أجداده من قبل، وقد أخذ الكاتب هذا التعبير من قوله تعالى في سورة الفرقان: "الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا" سورة الفرقان، الآية 2.

"الله الذي أضاء الشمس؟. – وأضاء كل شيء. — وأنا آمنت بما آمنت به".[5] يستحضر النبي قوة الله وقدرته في بلاط الملك ليقوي حجته لعل قلوبهم تصغي وتؤمن بالله الأحد، ونجح في إقناع الملك وإدخاله في دين الله لأنه رأى فيه ما يصلح الحال ويهدئ البال ويقوم بشأن البلاد والعباد. يقول تعالى في سورة البقرة "فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ " سورة البقرة، الآية 137.

"فقد أثر النشيج في الكلمات: ائتنا نكرمك، فقد عفا الله عما سلف"[6] وهذا من شيم الأنبياء، فقد عف النبي عن زليخة التي رمته في غياهب السجن وكادت له المكائد حين رأى حالها رثى لها وأشفق عنها ولم ينسَ فضلها عليه فهي قد ربته في بيتها يوماً، وعاش في نعيم ورخاء بفضل زوجها الذي أحسن مثواه، يقول تعالى في سورة

[1] أيمن العتوم: أنا يوسف، ص277.
[2] المصدر نفسه، ص182.
[3] المصدر نفسه، ص277.
[4] المصدر نفسه، ص281.
[5] المصدر نفسه، ص281.
[6] المصدر نفسه، ص290.

المائدة: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ ۗ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ" سورة المائدة، الآية 95.

"وهتف الملك وهو يبتسم وفرحة الانتصار قد أشرقت على وجهه: الآن لم يعد لكم من الأمر شيء، هيا عودوا برحالكم إلى دياركم"[1] وخطابه هنا كان موجهاً لإخوته بعد أن ثبتت السرقة على أخيه واستبقاه عنده، فقد أحس بالفرح وكأنه انتقم منهم وهم لا يعلمون فقد خرج الأمر عن سيطرتهم وهم الذين كانوا أصحاب الأمر يوم كان بينهم، يقول تعالى في سورة آل عمران: "لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ" سورة آل عمران، الآية 28.

"إن النار لها سبعة أبواب" وقد ورد حديث للنبي صلى الله عليه وسلم أن للنار سبعة أبواب وللجنة ثمانية أبواب، وأورد الكاتب هذه الجملة في وصف أبواب الحجرات التي مر بها ليصل إلى مخدع السيدة زليخة شبهها بأبواب جهنم، ويقول تعالى في سورة الحجر: "وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ" سورة الحجر، الآية 44.

"وإنما يأتي كذلك مع الطفل الذي نما واشتد عوده وقويت شكيمته فظن أن الله غير قادر عليه فأعاده في شيخوخته طفلاً كما كان"[2] وفي هذا تدبر في خلق الإنسان من ضعف ثم يقوى ليصير في أوج فتوته وقوته ويرد إلى أرذل العمر، وقد ورد هذا المعنى في أكثر من سورة في القرآن الكريم، يقول تعالى: "اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ" سورة الروم، الآية 54. وكذلك يقول تعالى: "وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ" سورة النحل، الآية 70. وفي موضع آخر من سورة الحج يقول تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ" سورة الحج، الآية 5.

[1] أيمن العتوم: أنا يوسف، ص319.

[2] المصدر نفسه، ص190.

"لا شيء يدوم، لا الشقاء لا النعيم، لا الفقر ولا الغنى، لا الحب ولا الكره، لا الحداثة ولا الهرم، كل في تغير مستمر، تطحنه رحى الزمان وتقذف به في أتون الموت"[1] ويقصد الكاتب من هنا أن كل لا محال زائل، وقد استوحى الكاتب معاني أسطره هذه من قوله تعالى: "كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ" سورة الرحمان، الآية 26.

"الفرج قريب، وإن أمر الله ماضٍ، ما يأتي لا يمكن إيقافه، وما يمضي لا يمكن استرجاعه، ولسوف تزول هذه الجُدُر كلها، وستخرجون آمنين، فثقوا بالله ولا تعجزوا".[2]

"أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ" سورة البقرة، الآية 214.

"إنما المؤمنون إخوة" سورة الحجرات، الآية 10.

– إذا لم يكن الله في قلبك فكيف ترى".

"لا تحزن إن الله معنا" سورة التوبة، الآية 40.

"وجلس يوسف على مصطبة العلم فقال:

إن الله لا يحاسب على زمن القبر حتى يأتيك بالفرج، فمن أراد أن ينفتح له باب فعليه أن يديم الطرق دون أن يضجر إذا انحنى ظهره لطول انتظاره، أو دميت يده لطول قرعه، واجتمع الناس حوله وقد آمن كثير منهم به، لا لأنهم فهموا كلامه كما يجب، ولا لأنهم حملوه على محمل الجد، ولا لأنه خاطبهم على قدر عقولهم، بل لأنه كان محسناً في كل أموره، محسناً في مد يد العون إليهم، محسن في فعله، محسن في بسمته، محسن في مشيته، محسن في جسده، ومحسن إذا نظر، ومحسن إذا عبر، ومحسن إذا ادّكر، ومحسن إذا انتظر، ومحسن إذا صبر... وكان الصبر ملاك الأمر كله وعليه المعوّل، فمن صبر نجا". وقد استعار العتوم كعادته أقوال من النص القرآني وتلاقى مع الآية:

"إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون" سورة النحل، الآية 128.

"كيف ينشغل الإنسان بالحياة عن الله؟ لولا الله ما كان الإنسان"

"الرحمان علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان" سورة الرحمان.

"أنا أحد أولئك الذين يلتزمون الصمت فجأة دون سبب واضح ليس لأنهم جبناء بل لأنهم يشعرون أن هناك فخ في منتصف الحديث"

"متعة عابرة وشقاء مقيم".

"يا معشر الذئاب، لعل هذا آخر عهدي بكم، فلكل أجل كتاب، وإني مستخلفكم من كان كاف الله فيكم... يا معاشر الذئاب إنه من يتقي ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين"[3]

[1] أيمن العتوم: أنا يوسف، ص341.

[2] المصدر نفسه، ص170.

[3] المصدر نفسه، ص11.

"وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ" سورة الرعد، الآية 38.

في التناص العام ليس شرطاً أن يكون الكاتب أو أن يستعير إلا من سورة يوسف، إنما من سورة أخرى كما حدث هنا، فالتناص كان من سورة الرعد "لكل أجل كتاب".

"الحكمة والتقوى والعمل، فمن حازهن كان جديراً بأن تفضوا إليه بمقاليد أموركم بعد أن يكون قد تعاقد عليه مجلس شوراكم"[1]

"لَّهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ" سورة الزمر، الآية 63.

أيضاً تناص أو أحداث متناصية من سورة الزمر في كلمة مقاليد.

"يا معاشر الذئاب لا نعطي قيادنا إلا لمن خاف الله فينا، ولا نسلم أمورنا إلا لمن رعى ذمامنا، وعاش فينا منا، يجوع إذا نجوع، ويعرى إذا نعرى، ويتعب إذا تعبنا، ويأكل مما نأكل، ويلبس مما نلبس، فمن رأى أنه فوق ذلك نبذناه ولا نبالي والعاقبة للمتقين[2]"

"تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ" سورة القصص، الآية 83.

أيضاً ذهب الكاتب إلى سورة القصص ليحدث تداخل بينهما في لفظة "العاقبة للمتقين".

المطلب الثاني: التناص المباشر الخاص في القصص القرآني

لقد تناول الكاتب في روايته قصة سيدنا يوسف بكل تفصيلاتها وأحداثها كما وردت في القرآن الكريم، وأخذ من سورة يوسف آيات صرح بها كما وردت في القرآن تماماً دون أي تغيير تارة، وتارة أخرى وظف آيات بشكل نثري متصرفاً فيها مضيفاً أوصافاً وحوارات داخلية وخارجية ليُضفي لمسته الإبداعية ويقدم لنا العمل بشكل جديد يحوي رسالة مبطنة يحاول إبلاغها للقارئ.

"لقد رأى الشمس، أتعرفين ما معنى أن يرى الشمس؟ كانت تحني جذعها، وتقبل الأرض بين يديه، وتسجد أمامه! أتعرفين معنى أن تسجد له الشمس؟ ليته رأى الشمس وحدها، لقد رأى القمر معها! قمر يسجد لقمر... يا لجمال النبي... الكواكب... أحد عشر كوكباً ضخام الأجسام مفتولو العضلات جيش بأكمله... كأنهم من نسل المحاربين العظماء... كل هؤلاء سجدوا لهذا الطفل النبوي"[3]

يورد الكاتب أوصافاً لم ترد في القرآن الكريم في وصفه لرؤيا النبي يوسف، ويقرب الأوصاف لتصير كأوصاف البشر، فالشمس تنحني والكواكب لها عضلات مفتولة، وهذا ليحرك خيال القارئ وليعيد صياغة قصة النبي في

[1] أيمن العتوم: أنا يوسف، ص11.

[2] المصدر نفسه، ص11.

[3] المصدر نفسه، ص41.

صورة فنية جديدة، يقول تعالى: "إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ" سورة يوسف، الآية 4.

"وتدخل شمعون: أنا معه، لقد حصحص الأمر؛ علينا أن نقتله...

وأنا أيضاً معكم، سنقتله، حتى تتخلص من الأفعى عليك أن تقطع رأسها.

ارتجت الجنابات، وقف الصغار، أصدروا صوتاً أقرب إلى الزعيق، "ونحن معكم، سنقتله"

قال راوبيل: لكن القتل لعنة... دمه سيطاردكم، دمه سيمنعكم من النوم، دمه سيعذبكم...

نقتله ونستغفر الله، ونقف أمام بابه باكين حتى يصفح عنا"[1]. حين يمتلك الإنسان الشعور بالغيرة، تتحول تدريجياً إلى حسد، والحسد هو تمني زوال النعمة من يد من يمتلكها، وحتى الحسد فيما بعد يصير كراهية. وفي قصة النبي يوسف مع إخوته بلغ كرههم إلى درجة أن قرروا وأقدموا على قتله ظناً منهم أن أباهم سينصرف إلى حبهم لأن يوسف هو حجر العثرة في طريقهم إلى قلب أبيهم. يقول تعالى في سورة يوسف: "اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ" سورة يوسف، الآية 9. وبعد أن يقتلوه سيتوبون إلى الله ويعتكفون عند بابه حتى يصفح ويعفو عنهم، وما أغفلوه أن الله يهدي من يشاء إلى سبيله وأمر التوبة ليس بيدهم وإنما هو تيسير من الله.

"أرجو أن تكرمه، إنه ولد عجيب، جاء على غير ميعاد، ولقد دفعت فيه ثمناً لا يمكن تخيله... وتسأل: هل يمكن أن نتخذه ولداً؟"[2] وهذا من عجيب قصة يوسف، فإخوته غدروا به وفرقوه عن أبيه، ولم يكفهم ذلك فباعوه عبداً ذليل، وأما الغريب فقال لزوجته أحسني إليه علَّنا نتخذه ولداً أو يفيدنا في إدارة قصرنا يوماً ما. يقول تعالى في سورة يوسف: "وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" سورة يوسف، الآية 21.

"جاؤوه خاشعين... "يا أبي إن يوسف أصابته غمة بعد موت عمته، فهلا بعثت به معنا نُسري عنه"... "فابعثه معنا يلعب فإن القلوب تحتاج راحة".

قال يعقوب: ولكنني أخاف.

وقمت، عاجله يهوذا: تخاف عليه ونحن عصبة أشداء خبروا الحياة... قل أي شيء غير أن تخاف عليه وهو معنا.

رد يعقوب بسرعة: أخاف أن يأكله الذئب"[3].

---

[1] أيمن العتوم: أنا يوسف، ص55.

[2] المصدر نفسه، ص160.

[3] المصدر نفسه، ص60.

حين يتملك الشر عقل وقلب الإنسان تصير حججه أقوى، وفي محاولة لإقناع أبيهم لم يدخروا قولاً ليلين قلب أبيهم ويسمح ليوسف أن يرافقهم ليفتكوا به، وادعوا أنهم عصبة شديدة القوى سوف يذودون عن أخيهم ولن يمسهم أي أذى، حتى حجة النبي بأنه خائف عليه من الذئب لم تنجح، كان الأجدر أن يخاف من ذئاب البشر لا من الحيوان، قال تعالى في سورة يوسف: "قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ" سورة يوسف، الآية 11-13.

"سنلقي يوسف في البئر، فإذا أصابته الهوام ولدغته الأفاعي فقد تخلصتم منه كما أردتم واسترحتم من دمه، وغسلتم أيديكم منه، وإن انفلت على أيدي سيارة يذهبون به لأرض بعيدة خارج فلسطين كلها فهو المراد أيضاً، يخلو لكم وجه أبيكم كما كنتم ترددون"[1] أراد الله أن تتحقق رؤيا يوسف، لم يشأ له أن يكون من الهالكين، فبعد أن أجمع إخوته على قتله تبين لهم أن يرموه في غيابات جب لعل قافلة من القوافل تمر فتأخذه إلى مكان في أقاصي الدنيا، فلا هو يعود ولا أبوه يعثر عليه. وودوا لو أن عقرباً أو ثعباناً يلدغه فيتخلصون منه إلى الأبد. قال تعالى: "قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ" سورة يوسف، الآية 10.

"وبكوا على فقد حقيقي، كان بكاؤهم يفطر القلوب... لم يشك يعقوب لحظة في أنه حقيقي، وخرجت من بين شفاههم المبعوجة ومن وراء أسنانهم ثلاث كلمات: لقد مات يوسف"[2]

"لقد قمنا بجولة نتسابق فيها على الرمي بالسهام، كان يوسف متعباً فلم يشاركنا السباق... تركنا ثيابنا بين يديه ليحرسها، وعندما عدنا... وجدناه... وجدناه مقتولاً، لقد مزقه ذئب رمادي، عنقه بيضاء... لقد نهشه وحوله إلى أشلاء... ورد يعقوب: الذئب لا يأكل ابني.

هل نقسم لك حتى تصدقنا؟"[3] كان بنو إسرائيل من أكثر الشعوب التي ورد ذكرها في القرآن، وهم أنفسهم أبناء يعقوب. لقد عاثوا في الأرض فساداً وأتعبوا الرسل والأنبياء بل لم يكتفوا بذلك. ويذكرهم التاريخ بأنهم قتلة الأنبياء، وكثر ذكرهم مع نبي الله موسى. فبرغم كل المعجزات والتضحيات التي قدمها لهم، إلا أنهم بقوا على كفرهم وطغيانهم. لم يدخر إخوة يوسف جهداً ليقنعوا أباهم أنهم أبرياء من دم أخيهم، واتهموا الذئب البريء بجرمهم وجاؤوا بدموع التماسيح ليثبتوا براءتهم. يقول تعالى: "وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ" سورة يوسف، الآية 16-17.

[1] أيمن العتوم: أنا يوسف، ص70.

[2] المصدر نفسه، ص10.

[3] المصدر نفسه، ص92، ص93، ص95.

"وذهب الوارد مع عدد من السقاة راكضين إليها، وألقى الوارد دلواً كبيرة فيها، ورآها يوسف تهبط، حتى إذا صارت الدلو قبالة رأسه... انتظر الدلو حتى استقرت على الصخرة الصغيرة، وقفز داخلها"[1] كان هذا هو قدره المحتوم، أن يفرط فيه إخوته ويكفله الغريب، لقد رأى النور على يد الغرباء قافلة ساقها القدر إلى بئر مهجور، وبدل الماء أخرجت نبياً زهد فيه أهله وصبوا عليه بأنواع العذاب، ولم يشفِ ذلك حقدهم وغلهم عليه فألقوه في الجب، وكانت هذه بداية رحلته إلى بلد آخر لم يعرفه من قبل بعد أن باعوه بثمن بخس وكانوا فيه من الزاهدين. يقول تعالى: "وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ ۖ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ" سورة يوسف، الآية 19-20.

"وغلَّقت الباب الأول حتى دخلت المزاليج في المزاليج والبكرات في البكرات والظلفة في الظلفة، فكأنه قطعة من جدار لا ينفك عنه... ومضت به إلى الغرفة الثانية وغلَّقت بابها... فغلقت الباب الثالث... وغلقت الباب الرابع وقالت: ولم تمتد له يدٌ قبلك. وغلقت الباب الخامس... وغلقت الباب السادس... وغلقت الباب السابع".[2] إن الجمال نعمة من الله تعالى، ولكن في قصة النبي، تحول الجمال إلى نقمة أخرجه من بيت أبيه بسبب حسد إخوته، وكاد أن يقع في الفتنة والفاحشة بسبب حسنه الذي أعجب زوجة العزيز زليخة، ووقع في أحضان السجن ليخفي جماله عن النساء الكائدات. يقول تعالى: "وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ" سورة يوسف، الآية 23.

"وظلت الألسنة تلوك الفضيحة شهراً ووصلت الكلمات إلى زليخة... وطلبته إلى غرفتها: أنا آمرك أن تلبس غداً ثياباً أعددتها لك... ثم تدخل مجلسي لتقدم لي الفاكهة، عندي حفل سمر ونساء مصر سيحضرن... فلتتناول كل واحدة منكن السكين الذي أمامها"[3]

"ثم صفقت بيدها، كان يوسف في تلك اللحظة يدخل حاملاً فاكهة السيدة... وغاص السكين في الأترجة ووصل إلى أيديهن، غاص في اللحم كما يغوص في قطعة الزبد"[4] إن الجمال لا يبرر الخطيئة، كانت زوجة العزيز تظن أن الناس سوف يعذرونها في ارتكابها للفاحشة إذا ما رأوا جمال معشوقها الذي لن تستطيع أي امرأة أن تقاومه، وهذا ما فعلته بعد انتشار الفضيحة في شوارع مصر كما تنتشر النار في الهشيم. دعت نساء مصر وزوجات وجهائها إلى حفل أعدته في قصرها وناولتهم سكاكين قاطعة وفاكهة الأترج أو ما يسمى اليوم باليوسفي، وحين رأينه قطعن أيديهن لشدة جماله، وصفنه بأنه ملك وليس بشر. وهكذا وجدت لنفسها حجة تسكت بها ألسنة الناس التي تتداول فضيحتها في أرجاء مصر. يقول تعالى: "فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ

[1] أيمن العتوم: أنا يوسف، ص125.

[2] المصدر نفسه، ص186.

[3] المصدر نفسه، ص207.

[4] المصدر نفسه، ص205، ص207.

وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ" سورة يوسف، الآية 31.

"البقرات السبع السمان والسنبلات السبع الخضر هي سبع سنوات مخصبات، وأما البقرات العجاف والسنبلات السبع اليابسات فسبع سنوات مجدبات... ازرعوا ما شئتم أين شئتم، فإذا حصدتم القمح فلا تفرغوه من سنابله حتى لا يتعفن، فإنما تخزنون لسبع سنوات قادمات بعدها يأكلن ما خزنتموه"[1] كانت معجزة نبي الله تأويل الرؤى، وكان هذا هو سبب خروجه من السجن، أن فسر رؤيا الملك التي ستحدد مصير مصر وشعبها في قادم الأيام، وكانت حجة له من الله ليكشف ضعف وفشل كهنة وسحرة معبد آمون إله مصر في ذلك الزمن، حيث عجزوا عن تفسير هذا الحلم الذي ينبئ بقدوم سبع سنين من وفرة المحاصيل وكل الثمار، تليها سبع سنين من الجفاف والقحط الذي سيعم أرجاء المعمورة. يقول تعالى: "قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُون" سورة يوسف، الآية 47-48.

"ما ترى يا بني؟ أرى أن ثمرة الزيتون لا تفيئ إلا بعد أن تعصر، وحبة القمح لا تكون خبزاً إلا بعد أن تطحن، والذروة لا تُبلَغ إلا بعد أن تبلُغ العقبة الكأداء من النفس كل شيء، من علمك هذا يا يوسف؟"[2] الله، هو المعلم الوحيد.

"كذلك لنعلمك من تأويل الأحاديث" سورة يوسف، الآية 06.

- "يا يوسف، من صدق ربه في ترك الشهوة ذهب الله بها من قلبه فما تضره، الميثاق الميثاق يا يوسف".

"وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ" سورة العنكبوت، الآية 69.

- "فأي طريق أسلك" الطرق تؤدي إلى الغايات يا يوسف، فإذا سلكت طريق النفس وصلت إلى نفسك، وإذا سلكت طريق الناس وصلت إلى الناس، وإذا سلكت طريق الشيطان وصلت إلى الشيطان وإذا سلكت طريق الله وجدت الله" "فكيف الطريق إلى الله؟" "سر إليه ولا تلتفت".[3]

"وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" سورة يوسف، الآية 21.

المبحث الثالث: تقاطعات الرواية مع أنواع أخرى للتناص

1- التناص النثري:

[1] أيمن العتوم: أنا يوسف، ص277-276.

[2] المصدر نفسه، ص154.

[3] المصدر نفسه، ص246.

– "ظلام كثيف، ليل عميق، بقرد قار، كل شيء هامد كأنما ينتظر قدراً غامضاً، ألقت الأشجار رؤوسها على جذوعها، يائسة، وذر التراب نفسه على الأرض مستسلماً"

تتقاطع مع الرواية العربية في التخييل والزمن والمكان والفنية، ليستطيع إيصال أكبر قدر من الكذب ويترك انطباعاً قوياً لدى القارئ.

2– التناص مع الحديث النبوي:

يورد الكاتب على لسان ملك مصر "إن الله غيور لا يقبل أن يشاركه في سلطانه أحد"[1] وفي هذا الحديث اقتباس من قوله صلى الله عليه وسلم عن أبي هريرة قال، قال صلى الله عليه وسلم: "إن الله تعالى يغار وغيرة الله تعالى أن يأتي المرء ما حرم الله عليه"[2]، وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "يد الله مع الجماعة".

"الأحلام أصدق من الحقيقة ظهر الرؤيا باطن الواقع، ما كان للروح من الرؤيا في النوم أشد وضوحاً مما كان للحسد من الرؤية في اليقظة، صدق الرؤيا أول منازل النبوة، للأنبياء قلوب لا تنام، ولهم أرواح متصلة بالملكوت الأعلى ولذا يمحي عذوبه الخيط الفاصل بين ما يرونه بعيونهم في النهار وما يبصرونه بقلوبهم في المنام، الأنبياء ظل الله".

رؤيا الأنبياء صادقة.

"إذا نظر أحدكم إلى قلبه فليحرص على ألا يجد فيه إلا الله، فمن وجد الله وجد كل شيء ومن فقد الله فقد كل شيء"

"الوحيد من لم يكن الله في قلبه"

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "احفظ الله يحفظك".

"يا معشر الذئاب دمكم حرام عليكم ما حييتم"[3]

في وصية النبي صلى الله عليه وسلم لأبي ذر: "يا أبا ذر، لا يكون الرجل من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة الشريك شريكه، فيعلم من أين مطعمه ومن أين مشربه ومن أين ملبسه، أمن حلال أو من حرام"[4]

وعنه أيضاً أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "يا أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم، وقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم قال وذكر الرجل يطيل السفر أشعب أغبر يمد يده إلى السماء يا رب يا رب، ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذِّي بالحرام فأنى يستجاب لذلك"[5]

---

[1] أيمن العتوم: أنا يوسف، ص234.

[2] صحيح البخاري، الحديث رقم 5223، ص1331.

[3] أيمن العتوم: أنا يوسف، ص18.

[4] صحيح مسلم وتهذيب الكمال والسيرة، ص530.

[5] المصدر نفسه

فيه أن العبرة بالتقوى لا بالمظاهر، وذلك أن الأشعب الذي تحتقره ويقولون عنه ذئب، قد يكون عند الله أعلى منزلة، فإن أكرمكم عند الله أتقاكم.

"الله مع الجماعة"[1]

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً وشبك بأصابعه. ويد الله مع الجماعة"[2]

فالعبد يعرف نقطة ضعفه ويسعى لكي يفرق يوسف عن أبيه، وأهل مصر عن الديانة السماوية، فسعى يوسف ألا يكونوا فريسة سهلة.

"إياكم والكبر فإنه أول من أخرج إبليس من الجنة"[3]

"عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من الكبر"[4]

يعني الكبر احتقار الناس وانتقاصهم وسوء المعاملة معهم غلظة، فرؤية النفس بأنها خير من غيرها فهذا خطأ، فالتواضع أساس كل جمال روحي، وهذه خصلة نبي الله يوسف عليه السلام.

3- التناص الاجتماعي:

"ولمعت شمس الضحى في وجوه القافلة، ورغت الجمال السائرة، وكان صوت أنفاسها على الرمل يشي بقرب النهايات، يتكسر من تحتها لطول عهده بالماء، ووُجئ عرق الحداة، فلم يقدروا على مواصلة غنائهم، وضجرت الإبل من بلاهة الإنسان وودت لو أنه يفهم لغتها لكي تغني بدلاً منه، فلا شيء يقطع الوقت كالغناء، ولا شيء يزرع الأمل مثله، ولا شيء يعين على الصحراء سواه، كل شيء صحراء".[5]

4- التناص مع الشعر:

أورد الكاتب في الرواية وصفاً لخيال ذئب في إحدى رحلات الصيد، فيقول: "وبدا في الأيكة من خلف الجذوع الغليظة خيال ذئب يمر مر السحابة لا ريث ولا عجل"[6] وبهذا يستدعي الكاتب الموروث الشعري، وبالتحديد شعر الأعشى حين قال في وصف محبوبته: (بحر البسيط)

---

[1] أيمن العتوم: أنا يوسف، ص13.

[2] صحيح مسلم: ص513.

[3] أيمن العتوم: أنا يوسف، ص11.

[4] صحيح مسلم: ص11.

[5] أيمن العتوم: أنا يوسف، ص119.

[6] المصدر نفسه، ص182.

"كَأَنَّ مِشيَتَها مِن بَيتِ جارَتِها مَرُّ السَحابَةِ لا رَيثٌ وَلا عَجَلُ"[1]

وكذلك قوله على لسان زوجة العزيز حين استصغرت نفسها حين ردها يوسف ولم يرضخ لها "ابتليت بك فأذللتني بدل أن تعزيني"[2] وكأن كلماته يتجلى فيها قول سعيد بن أحمد البوسعدي حين قال:

" يَا مَن هَواهُ أعزَّهُ وأذَلَّنِي كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى وصَالِكَ دُلَّنِي"[3]

5- التناص مع أسماء الأماكن:

ورد في الرواية أسماء لأماكن عديدة جرت في ثناياها الحكاية مثل: النيل، الفرات، فلسطين، مصر، الويل، طيبة، سقارة، الأردن، سيناء.

6- التناص مع أسماء الأعلام:

لقد وردت في الرواية أسماء عديدة منها أسماء إخوة يوسف التي لم يذكرها القرآن ولكن وردت في التوراة حسب ما ورد في كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي "وأسماؤهم: روجيل وهو أكبرهم، وشمعون ولاوي ويهوذا وزيالون ويشجر وأمهم ليا بنت ليان... وولد له سَرِيَّتين أربعة نفر، دان ونفتالي وجاد وآشر... وتزوج رحيل فولدت له يوسف وبن يامين فكان بنو يعقوب اثني عشر رجلاً"[4]

7- التناص مع الأسطورة والمثل:

اعتبر الكاتب ماء النيل ماءً مقدساً فشبهه بماء الحياة "اشربوا ماء الحياة المقدس الماء الذي فاضت فيه أقدام أسلافنا الطاهرين"[5] وماء الحياة هو أسطورة يونانية قديمة تدعي أن هناك عين ماء من نهل منها لم يدركه الشيب والمشيخ أبداً ويبقى خالداً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

"والعجلة تورث الندم"[6]

نهاية العجول وخيمة، لكن ليس هنالك مفرقاً لله تعالى، يقول: "وخُلِقَ الإنْسَانُ عَجُولاً". سورة الإسراء، الآية 11.

"فلا يعلم الغيب إلا الله"[7]

---

[1] الأعشى ميمون بن قيس: ديوان الأعشى الكبير، المكتب الشرقي، بيروت، 2020، ص55.

[2] أيمن العتوم: أنا يوسف، ص195.

[3] ديوان سعيد بن أحمد البوسعيدي، ص245.

[4] القرطبي: الجامع لأحكام القرآني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج9، 1985، ص130.

[5] أيمن العتوم: أنا يوسف، ص222.

[6] المصدر نفسه، ص9.

[7] المصدر نفسه، ص 10.

"الذين يُؤْمِنُونَ بالغيب وَيُقِيمُونَ الصلاة وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ" سورة البقرة، الآية 8.
وعنده مفاتيح العيب لا يعلمها إلا هو سبحانه يعلم ونحن خلقه أجهل الجاهلين.
"ويقربه منه نجياً"[1]
"وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا" سورة مريم، الآية 52.
الأب يقرب ابنه له ويعزه على إخوته، وهذا ما جعل الإخوة يكيدون به كيداً ويمونه في الجب.

8- الميتاسرد في الرواية:

إن رواية أنا يوسف ما هي إلا إعادة صياغة لقصة نبي الله يوسف عليه السلام، وعمد الكاتب إلى خاصية التناص ليدرج الأحداث، فنجد أحداث الرواية تدور حول كل آية من سورة يوسف لكن مع التوغل والإطناب في الشرح وإيراد التفاصيل، فقد أورد الكاتب تفاصيل لم ترد في خضم السورة القرآنية، وخاصة تفاصيل تخص الجانب النفسي لشخوص الرواية، والتي تتراوح بين الحقد المصرح به لدى إخوته مثلاً، ثم ندمهم الشديد على ما اقترفوه. أورد في بداية الرواية قوله: "أيها الوسيم ما حاجة الميت الذي ستنهشه نيوب الأفاعي إلى قميص"[2] وهذه من أعمق الجمل التي وردت في حقدهم على أخيهم. بينما نجد نقيضاً لهته المشاعر في نهاية الرواية بعد أن أدركوا أنهم ارتكبوا جريمة ستضل وصمة عار فيهم أن فرطوا بأخيهم لكونه أجملهم وأقربهم إلى أبيهم لا غير "دعونا نمر بالبئر، فالبئر غيابه، البئر ذكراه، البئر حتفه، البئر أخونا، البئر خطيئتنا، أريد أن أتطهر من ذنبي بإلقاء نفسي في البئر ولو لساعة... في البئر ألقيناه وإلقاؤه جريرة"[3] صور الكاتب لنا ندمهم الشديد، وهذا في عديد الأجزاء من الرواية بينما ذكره القرآن مرة واحدة في قوله تعالى: "قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ" سورة يوسف، الآية 91.

أما زوجة العزيز فكان الأمر معكوساً، بدأ بالحب الشديد وانتهى بحقد أودى بالنبي إلى غيابات السجن، وقد أسال العتوم في هذا حبراً كثيراً في منتصف الرواية وحتى نهايتها، فيذكر لنا لقاء زليخة الأول بنبي الله وكيف كان انبهارها به "وحانت منها التفاتة إلى حيث يوسف وفغرت فاها، ودخل هواء حار إلى رئتيها ولكنه لم يخرج، واختنقت أو كادت، وأرادت أن تتخلص من الاختناق بإطلاق صيحة الزفير دفعة واحدة... وخطر ببالها سؤال غريب: هل هو حقيقي؟... أنت عندي بمنزلة الفؤاد مني"[4]

ثم يصف لنا الكاتب كيف أن هذه المشاعر تبدلت إلى الحقد والكره حين رفض أن يقع في الفاحشة معها، وهي لم تكن ترى خلقه ولا جهده الذي يبذله في إدارة القصر، بل كانت ترى جسمه وجماله الذي صار حديث

[1] أيمن العتوم: أنا يوسف، ص11.
[2] المصدر نفسه، ص78.
[3] المصدر نفسه، ص302.
[4] المصدر نفسه، ص159، ص161.

سكان القصر، وحين رفضها تغيرت كل مشاعرها بقول الكاتب: "ابتليت بك فأذللتني بدل أن تُعزني، وأسقطتني بدل أن ترفعني، فهل تظن أنني سأنسى لك ذلك؟ وحق الآلهة لأمرغنَّ أنفك في التراب"[1] ومن شدة كرهها أودعته السجن بعد أن خيرته إما هي أو السجن فقال "السجن أحب لي" وبعد دخوله السجن نرى أن مشاعر وأحاسيس زوجة العزيز تغيرت نحو الندم الشديد لأنها أدخلته السجن، وهذا كان سبباً في ذبول جمالها ونهاية سيادتها. "ذبل جسد زليخة، كانت تذوي كلما مر يوم لم تر فيه يوسف... وكانت تهتف: لم يعد يذرع بخطواته الرشيقة قصري، فلمن أتزين؟

وبكت ليلتها وبكت ليالي طويلة من بعدها حتى أحرقت مجاري الدموع مواضع النور... وصاحت: وا أسفاه على يوسف"[2]

وكذلك نرى الجانب النفسي للنبي يوسف الذي كان يدور بينه وبين نفسه، فنقارن ما فعله إخوته به والحال الذي صار إليه في قصر عزيز مصر. "وتذكر يوسف برد الجب ودفء القصر فبكى. وتذكر خشونة الجب وليونة القصر فبكى. وتذكر جوع الجب وشبع القصر فبكى. وتذكر وحشة الجب وأنس القصر فبكى. وتذكر وحدة الجب وكثرة القصر فبكى. وتذكر خوف الجب وأمن القصر فبكى"[3] فهل كان يدري أن دفء القصر كان برداً، وأن ليونته كانت خشونة، وأن شبعه كان جوعاً، وأن أنسه كان وحشة، وأن كثرته كانت وحدة، وأن أمنه كان خوفاً. نعم، كان يعي ذلك لأنه كان بعيداً عن أهله، عن إخوته الذين مهما اقترفوا من ذنب هم إخوته، فلم يكن يجد الدفء إلا في حضن أبيه، ولا أنس إلا في حضرته وفي كلامه ونصائحه، لقد كان وحيداً. "ثم تذكر أباه – خالياً- فانتحب"[4] بكى شوقاً لأبيه.

كما وتحكي الرواية الجانب النفسي للكاتب أيمن العتوم، ولهذا اختار عنوان أنا يوسف لروايته وكأنه هو يوسف، والمتتبع للسيرة الذاتية للكاتب يجد أن مصير الكاتب قد تقاطع مع مرحلة من حياة نبي الله يوسف ألا وهي فترة السجن، فالكاتب قد دخل إلى السجن وذلك بسبب وقوفه خلف آرائه وأفكاره وعدم تغييرها أو طمسها، وكان جزاء ذلك دخوله السجن. وله رواية أخرى يتحدث فيها عن ويلات السجن وعن المساجين الذين اتهموا بهتاناً وزوراً وهي رواية "يا صاحبي السجن". كانت شخصية يوسف عليه السلام بالنسبة للروائي محفزاً وجد فيه ضالته ليكتب من خلالها، موغلاً في المتن الحكائي واضعاً عليه سحراً خفياً يحتاج إماطة اللثام.

القضية الفلسطينية في الرواية:

[1] أيمن العتوم: أنا يوسف، ص195.

[2] المصدر نفسه، ص215.

[3] المصدر نفسه، ص215.

[4] المصدر نفسه، ص178-179.

إن القارئ لرواية أنا يوسف بشكل سطحي لن يعي بأنها تحمل رسالة مبطنة يستنبطها من يقرأ من أعماقه ويقرأ بوعي، فيسقط أحداثها على الواقع المعيش. الرواية تدور حول قصة يوسف عليه السلام فيسترجع الكاتب معاناة النبي بظلم إخوته له وحزن الأب لفقدانه ووقعه في الجب والسجن، وهذا يدفعنا إلى تفسير عميق وتحليل مسهب وإسقاطات ومشابهات تفضي بنا إلى مقارنة منطقية ومعقولة بين هذه القصة التي تحوي بداية ونهاية، وبين قصة الفرد الفلسطيني التي كتبت بدايتها، وأحداثها لا تزال تكتب، ونهايتها لم تكتب بعد. المقاربة بين قصة النبي والقصة الفلسطيني مقاربة واضحة جداً يمكن ربطها بالواقع بسهولة من خلال عدة مراحل:

مكائد الإخوة:

يقول الكاتب لأن الإخوة نزف والإخوة جدار بدل أن يكون ملاذاً وحمى، فهو ينهد على أضعفهم، أطهرهم وأنقاهم، فكيف لا يكون الفرد الفلسطيني هو يوسف، فكما تخلى الأسباط عن يوسف وحاكوا له المكائد، تخلى العرب عن فلسطين وهي أضعفهم، وحاكوا لها المؤامرات كل دولة حسب مصالحها ودفعوها نحو مصير مظلم أشد سواداً من الجب الذي وقع فيه يوسف.

الغربة والشوق للوطن:

كانت غربة النبي في أرض مصر موحشة، فكان يتمنى لو أنه بحجر والده حتى وهو ينعم في رخاء القصور، وكذلك الفرد الفلسطيني الذي تاه في أصقاع الأرض مجبراً لأنه مطرود من أرضه التي أخرجوه منها بعد عدة مكائد حيكت لها. سببت نكبة ونكسة لفلسطين وتهجيراً وتدميراً ونزوحاً للفلسطينيين، ولعل أكبر أمنيات الفلسطيني هي العودة إلى أرضه والقتال فيها والموت شهيداً بشرف. وكيف سيختلف مصير البطل والشرير في الحكاية واحد، فاليهود نسل الأسباط والأسباط أبناء يعقوب، وكلهم بنو إسرائيل.

لا يزال الشعب الفلسطيني مرابضاً وصابراً برغم ما يعانيه، نصفه مشتت والنصف الآخر في السجن أسير، وما بقي منهم يعيش تحت براثن الاحتلال، لا أحد يسأل عن وحشته وعن دمعته، كمصير يوسف في أرض مصر سواءً في قصورها أو سجنها.

تحقق الوعد... الفرج قريب:

قصة النبي كان لها نهاية أن تحقق وعد الله له بأن صار ملكاً وسجد له أبواه وإخوته، وكان الفرج بعد الضيق والشدة، وحكاية الفلسطيني لا تزال أحداثها تكتب ليس بالحبر ولكن بالدم والدموع. خيانة إخوة يوسف انتهت في غابر الزمن ولكن خيانة العرب لا تزال تكتب ولم نشهد لها توبة لحد الآن. عاد يوسف لحجر أبيه وأحس بالأمان الذي افتقده أربعين سنة، لكن الفلسطيني لم يعد إلى أحضان وطنه بعد، خرج يوسف من الجب ومن السجن، لم يكتب للفلسطيني رؤية النور بعد، ولكن وعد الله لابد أن يتحقق يوماً "فإن بعد العسر يسر، إن بعد

العسر يسر". سيعانق الفلسطيني الحرية في نهاية حكايته ولو استمر الاحتلال آلاف السنوات، سيعانق أرضه ويبلل بدموع فرحه ثراها، ويعود إلى بيته الذي هجر منه، سيعود إلى أرض كنعان وحجر يعقوب ولو بعد حين.

الخـــاتـــمـــة

الخاتمة:

بعد قراءة رواية أنا يوسف لأيمن العتوم، وفي إطار تعالقها، يمكن أن نختزلها في النتائج التالية:

– رواية أنا يوسف رواية تاريخية تعيد سرد قصة سيدنا يوسف عليه السلام بطريقة تشويقية، فهي تكرير قصصي في قوالب أدبية صرفة.

– نجد أن الرواية يتجلى فيها البعد الديني الذي صور من خلاله الروائي شخصية يوسف عليه السلام ليس كنبي وإنما كإنسان، وصور لنا مشاهد عديدة من حياته بشكل مفصل بخلاف ما نجده في الخطاب القرآني لكون أن الرواية لابد فيها من التفصيل وتصوير جوانب عديدة خاصة للشخصيات.

– الروائي أيمن العتوم تطرق في روايته إلى الجانب الإنساني والنفسي أكثر من الجانب الديني، فالقصة تصلح حسبه لكل الأعمار ولكل الأديان.

– في ثنايا قصة يوسف، نكتشف أن بعض الناس قد يكرهون ويحقدون ليس بسبب العيوب، وإنما العكس، بسبب المزايا. والطعنات لا تأتي من البعيد بل من القريب.

– نرى أن الكاتب قد أفلح في مسعاه ومشروعه في هذه الرواية، فلغته تصلح لعمل روائي معاصر.

– يعد التناص جزءاً من الرواية وليس نصاً موازياً لها، وهو قانون جوهري ينفتح النص بواسطته على ذاته والعالم، وهو يمثل أحد جماليات المتن وأحد لبناته الفنية والفكرية.

– من قصة يوسف نتعلم أن نكتم الخير الذي يهبنا إياه الله، لأن بعض البشر عيونهم ضيقة وقلوبهم أضيق، ينظرون إلى ما في أيدي الآخرين أكثر مما ينظرون إلى ما في أيديهم. وكذلك أن المجرمين يلبسون أحياناً ثوب النصيحة، فقد قال إبليس لآدم "هل أدلك على شجرة الخلد"، وقال إخوة يوسف لأبيهم "إنا له لناصحون" و"إنا له لحافظون".

– إن لكاتب الرواية أسلوب إبداعي، شاعر غني عن التعريف لمن يقرأ له، أورد في روايته عبر جدير بالقارئ أن يستنبطها ويطبقها، وأعظمها أن بعض الشر أهون من بعض، وأن الناس كما يتفاوتون في شرهم يتفاوتون في صلاحهم كذلك، وقد أنجاك أقل إخوتك شراً إذ قال: "لا تقتلوا يوسف".

– لا يوجد جريمة كاملة، والمجرم توقع به تفاصيل صغيرة فاته أن ينتبه لها، فقد نسي إخوة يوسف أن يمزقوا قميصه، فأي ذئب هذا الذي يفترس صبياً ويبقي على قميصه سالماً.

– إن الحر لا يقابل الإحسان بالإساءة، والكريم لا يغدر، والنبيل لا يبصق في بئر شرب منه، فما أعظم قوله عليه السلام "معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي".

– إن المدارس والجامعات والكتب ليست إلا أسباباً، وإن المعلم الحق هو الله "لنعلمه من تأويل الأحاديث" "آتيناه حكماً وعلماً" وإن الله يهب العلم على قدر التقوى "واتقوا الله ويعلمكم الله" وإن المسألة لم تكن يوماً مسألة عقول بل مسألة قلوب.

– إن في السجن مظلومون كُثر، والناس قد يدخلون السجن عقاباً على عدم ارتكابهم الذنب، لأن الظلم قديم في الناس.

– إن حلاوة الإيمان تغلب مرارة السجن، وهذا ما كان قد حدث مع النبي، فإيمانه أنساه ضيق السجن، ولو حدث العكس لصار القصر كله سجناً له.

– المعدن الأصيل لا تغيره الأماكن، ففي السجن قيل له "إنا نراك من المحسنين" وعلى كرسي الملك طلبوا منه العفو لأنهم رأوه من المحسنين.

– الحسد وراء كل شر، فهو أول ذنب عُصي الله به في السماء، وما رفض إبليس السجود لآدم إلا حسداً، وهو أول ذنب عُصي الله به في الأرض، فما قتل قابيل أخاه إلا حسداً، وما أقي يوسف في الجب إلا حسداً.

– الدنيا حرب مستعرة بين الحق والباطل، ولا تهدأ إلى قيام الساعة، الجنود فقط هم الذين يتغيرون، فصراع النبي مع امرأة العزيز هو صراع العفة والشهوة في كل عصر، وصراعه مع إخوته هو صراع الحب والبغض في كل عصر.

– التخطيط والتدبير حلان لكل المشاكل، ولا يصل أي إنسان لمبتغاه إلا بهما، فالقحط كان له خطة وتدبير وإبقاء بنيامين كذلك.

– الله يختار سلاحاً للمعركة لا يخطر على بال أحد، كان قادراً أن يرسل ملائكة ليحطم جدران السجن ويخرج يوسف عليه السلام، فما أمره إلا واحدة كلمح بالبصر، ولكنه أرسل إلى الملك حلماً.

– العدل بين الأبناء مطلب، والآباء هم من يوغرون صدور أولادهم على بعضهم دون أن يشعروا، وقد قدر الله أن يفضل يعقوب يوسف على إخوته ليعلمنا أن نحذر حين نحب ولداً أكثر من الآخر، وأن نبقي هذا في قلوبنا ولا نحوله إلى سلوك.

– الجدير بالشكوى إليه هو الله، فالناس إما محب وإما مبغض، فالمحب سيحزن والمبغض سيشمت، وكلاهما لا يملك من الأمر شيئاً.

– التجاهل لإبقاء الود شرط، والتصرف بعدم فهم لإبقاء العلاقة مطلب، فقد أسرها النبي في نفسه وكان قادراً على ألا يفعل، ولكن النبيل يتجاهل، وقد قالت العرب سيد قومه المتغابي.

– إذا كانت قصة سيدنا يوسف عليه السلام من أحسن قصص القرآن لقوله تعالى: "نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ" فإن رواية أنا يوسف لابد أن تكون من أجمل الروايات.

– في المتن الروائي الواحد تصادف بدايات متنوعة، فنجد البداية الرئيسية، ثم تأتي بعدها البداية الثانوية، وهي نفسها النصوص المتاخمة التي تكون امتداداً للفاتحة الرئيسية.

– إن التناص ضرورة لربط العمل الأدبي بالحياة عبر الاستعانة بالنصوص الأخرى الحية سواءً انتمت لعمل أدبي أو فولكلوري أو أسطوري أو غيره من النصوص.

– التفاعل بين النصوص يتم وفق آليات ومستويات متعددة كالمستوى الامتصاصي، الاجتراري، الحواري، ولقد كان لتعدد الدراسات والمناهج النقدية الدور الكبير في ظهور أنواع عديدة للتناص.

– في النهاية، محور السورة يدور حول "والله غالب على أمره".

– أردنا قدر المستطاع أن نجعل هذا البحث يحمل صفة التميز والاختلاف عن باقي البحوث التي تطرقت لهذا الموضوع والتي تناولته بالشرح والتحليل، فكان هذا العمل المتواضع والذي نرجو أن ننال به القبول وأن يُضاف إلى سلسلة الأعمال والأبحاث التي طرحت هذا الموضوع وستطرحه على مر الزمن، والحمد لله رب العالمين.

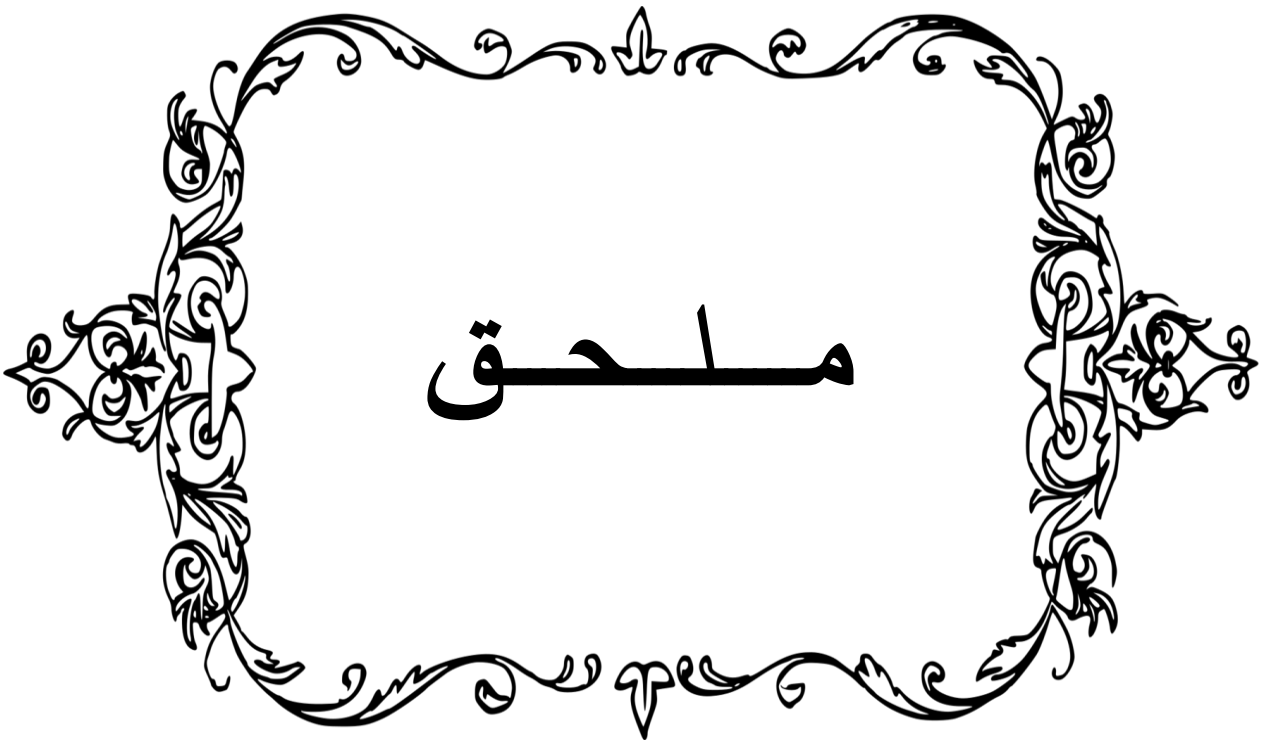
مـــلـــحـــق

1- التعريف بأيمن العتوم

أيمن علي العتوم، شاعر وروائي أردني ولد في الأردن في مدينة جرش في منطقة سوف 2 آذار/ مارس 1972، تلقى تعليمه الثانوي في دولة الإمارات العربية المتحدة في إمارة عجمان، ثم التحق بجامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية ليحصل على باكالوريوس الهندسة المدنية فيها عام 1977، وفي عام 1999 تخرج في جامعة اليرموك بشهادة باكالوريوس في اللغة العربية، ثم التحق بالجامعة الأردنية ليكمل دراسته العليا في اللغة العربية وحصل على شهادتي الماجستير في اللغة العربية في تخصص النحو ولغة عامي 2004 و2007، اشتهر بروايته "أنا يوسف"، "تسعة عشر"، "يا صاحبي السجن" كما له دواوين شعرية عديدة أحدثها ديوان "طيور القدس" عام 2016.

قام أيمن العتوم بالعديد من النشاطات الأدبية الفعالة حين كان صغيراً أثناء دراسته، فلقد قام بتأسيس اللجان الأدبية وأندية القراءة في جامعته التي كان يدرس بها، وشارك أيضاً في الأمسيات الشعرية للطلبة، فقد كان يكتب الشعر منذ كان مراهقاً. لدى الكاتب أيمن العتوم تاريخ أدبي حافل بالإنجازات، وهناك اعتقاد خاطئ بأن يوسف الدرموكي هو كاتب الرواية، ولكن هذا غير صحيح.[1]

الأنشطة والأعمال الأدبية لأيمن العتوم:

برز الشاعر والكاتب كناشط طلابي في اتحادات الطلبة في جامعة العلوم والتكنولوجيا، وترأس اللجنة الإعلامية في الاتحاد بين عامي 1994-1996، وشارك العتوم في العديد من الندوات الفكرية والأمسيات الشعرية على الصعيد المحلي والخارجي في عدة دول منها: تركيا، مصر، الكويت، السودان، الجزائر، تونس، قطر، وألمانيا.

مؤلفاته:

تعددت المؤلفات والأعمال الأدبية للأديب الأردني أيمن العتوم (شعراً ونثراً) فبدأ مسيرته الأدبية شاعراً، فكانت أول محاولاته الشعرية منذ الصغر، واستمر بكتابة الشعر لتصل دواوينه الشعرية المنشورة خمسة دواوين حتى الآن. توسع قلم الأديب إلى كتابة النثر العربي من روايات ومسرحيات، فأبدع بالكتابة النثرية جل الإبداع فانتشرت رواياته في بقاع الوطن العربي بل تعدت حدودها وترجمت رواياته إلى عدة لغات، ومن هنا لابد من التطرق إلى مؤلفاته الشعرية والنثرية.

[1] مدونات أيمن العتوم وشعر الأردن، ص15.

النثر (الروايات):

كتب الشاعر أربع عشرة رواية، كل جزء من رواياته يبحث معاناة السجناء ليندرج تحت مسمى أدب السجون، والجزء الآخر تناول قضايا وأحداث تاريخية واجتماعية، ويتميز شاعرنا بجرأته بالطرح، مما أدى إلى منع عدد من رواياته من النشر، كما سجن بسبب بعضها مثل روايتيّ (يا صاحبي السجن، حديث الجنود)، يسمعون حسيسها، ذائقة الموت، نفر من الجن، كلمة الله، خاوية، اسمه أحمد، أنا يوسف التي صدرت عام 2017 وهي محل دراستنا، يوم شهود، رؤوس الشياطين، أرض الله.[1]

النثر (المسرحيات):

شارك الكاتب والشاعر في المسرحيات المدرسية، كما أبدع الشاعر أيمن العتوم في كتابة النثر، فكتب الشاعر مجموعة من المسرحيات ومنها:

المشردون: مسرحية عام 1989 مخطوطة.
مملكة الشعر: مسرحية نثرية عام 2022 مخطوطة.
مدينة لا تموت: تتحدث عن القدس وما يهددها من أخطار، 2009 مخطوطة.

الدواوين الشعرية:

بدأ محاولاته الشعرية في طفولته، وهذا نابع من حبه للشعر العربي وآدابه، فنظم قصائد عدة محافظاً ومجدداً في بناء القصيدة، ويعتبر الشاعر من الشعراء المحدثين الذين قاموا بإحياء التراث العربي القديم بكتابة الشعر العروضي، ففي العقود الأخيرة زهر على مسرح الشعر العديد من الشعراء من الجيل الجديد، بدأوا أوهام وخيالات القائلين بموت الشاعر العربي، ومنهم شاعرنا وكاتبنا أيمن العتوم. (نبوءات الجائعين، خذني إلى المسجد الأقصى، قلبي عليك حبيبتي، الزنابق، طيور القدس).

مما سبق، يتبين أن الأديب الأردني أيمن العتوم ذو خلفية علمية وأدبية ثقافية عالية، استمد كتاباته من تجربته الشخصية، ومن المعاناة التي عاشها أو يعيشها المواطن العربي بشكل خاص والإنسان بشكل عام، فعكست كتاباته ما يجري في الشارع العربي من صراعات وأحداث سياسية واجتماعية، ظلم واستبداد، فتمحورت كتاباته حول الحرية والكرامة والعدل والمساواة، وانبثقت من الهم الإنساني المشترك، أي أن أديبنا وصل إلى إنسانيته، فهو يحمل هم الناس بغض النظر عن الدين والعرف واللون.[2]

[1] أيمن العتوم: ديوان طيور القدس، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2016.
[2] إيمان كتشو: تقنيات السرد في روايات أيمن العتوم، ص9

2- ملخص الرواية:

رواية "أنا يوسف" من الروايات العربية المشهورة والتي صدرت سنة 2019 عن دار اليقين للنشر والتوزيع، تتكون الرواية من 351 صفحة، وهي للكاتب الأردني "أيمن العتوم" تثير الرواية الكثير من التساؤلات حول الحياة التي عاشها سيدنا يوسف وتجيب عن هذه التساؤلات.

تتناول هذه الرواية قصة نبي الله سيدنا يوسف عليه السلام، حيث طرح أيمن العتوم روايته بصورة أدبية مميزة، فصور الأحداث بشكل مفصل ومتكامل، وشرحها من بدايتها إلى نهايتها دون أن يخرج عن النص القرآني، مستعيناً بآلية التناص في طريقة راقية ومحكمة

تمتلك الرواية جميع عناصر القصة، فهي تحتوي على شخصيات متعددة تدور حوارات بينهم، يسرد الكاتب الأحداث بطريقة سلسة ومشوقة ومفهومة للقارئ، ويتناول القصة من بدايتها حين كان سيدنا يوسف طفلاً صغيراً لأبيه يعقوب بين إخوته من أبيه، ويستعرض الأحداث بالترتيب كما ذُكرت في القرآن، كما تجيب عن بعض الأسئلة التي قد تدور في ذهن من يعرف بهذه القصة التي كانت ولازالت أحسن القصص القرآني

فقد تحدثت الرواية عن شخصية النبي العظيم والتي قد تم تمثيلها فيلماً، فاختار العتوم أن يقدمها بقالب نثري مشوق بطريقة روائية قصصية، وعرض أحداث القصة بأسلوب لا يغير من حقيقة القصة القرآنية وأيمن العتوم واحد من الروائيين المبدعين الذين اشتغلوا على معالجة مضامين إنسانية سامية، فالرواية أفكارها منصبة في الجانب الإنساني بطرح ديني يعالج عدة نقاط عددها الروائي كخطة واعية وهادفة، فاستخدم الخطاب الديني بأسلوب راقي ولغة عالية، ومن هنا كان التناص القرآني عنصر أساسي أسس عليه أيمن العتوم روايته قبل أن يكون مضموناً، فالرواية زاخرة بالخطاب الديني في عتباتها سواءً الداخلية أم الخارجية، ومحشوة بلغة قرآنية دالة على تشبع العتوم الكافي والوافي بالثقافة الإسلامية ولاسيما حفظه للقرآن، مما سهل عليه أن يجعل من القرآن وسيلة للتعبير عن كتاباته النثرية والشعرية وتعتبر رواية أنا يوسف من أجمل كتب أيمن العتوم، عبر فيها عما يريد بأجمل العبارات وأوجزها على شكل رواية استدمت اسمها من القرآن الكريم، لما تقدمه من خصص في الإرشاد الديني والوعظ وتستلهم القارئ نحو جو من الروحانيات الإلهية

فكرة الرواية:

انبثقت فكرتها من أنه يريد تقديم سيدنا يوسف عليه السلام بطريقة روائية قصصية مشهدية، تجعل القارئ ينجذب إليها أكثر من أي نص آخر، والهدف من الرواية أنه أراد التركيز على الجانب الإنساني في تناقضاته وحزنه وشكواه وأساه من ظلم الأقربين له، فالنص الديني والتاريخي لا يعرض هذا الجزء، فهو يرينا القوة والانتصار والإنجازات، فأراد تقديم سيدنا يوسف العفيف المتسامح الذي عفا عمن ظلمه، والذي تحمل برودة البئر وما لاقاه من إخوته من مكائد، والابتلاءات التي تعرض لها في مصر، وكيف برز تسامحه وتغاضيه عما حدث له، فكان قدوة في القوة ومثالاً في التسامح والحكمة، فالرواية منصبة في الجانب الإنساني أكثر منها في الجانب الديني، وهي موجهة لكل الأعمار

والأديان، ففيها من جمال وشاعرية سيدنا يوسف عليه السلام ما يغذي روح القارئ، ويبعث فيه حب التطلع والنبش في الرواية أكثر فأكثر. كما أن الروائي لديه عدة كتب على مختلف الأصعدة، ففي مجال الفلسفة ووصف الصحراء تأثر بالروائي الليبي إبراهيم الكوني، أما في مجال السرد فقد تأثر بالروائي نجيب محفوظ، وأما في استغراقه في التفاصيل فقد استمد ذلك من رضوى عاشور، وفي مجال الوصف والحوار تأثر بالروائي عبد الرحمان منيف، وفي أدب السجون استمد أفكاره من ربيع الجابر، والطاهر بن جلون.

وأخيراً وليس آخراً، يمكننا القول إن الروائي في روايته عرض أحداث قصة سيدنا يوسف عليه السلام بأسلوب لا يغير من حقيقة القصة القرآنية، فإنه لم يزيف أحداثاً ولم يغير أقوالاً، وكل ما تداوله كان مدروساً بشكل متقن. وأكثر ما اعتمد عليه في جمع المادة هو التوثيق كما ذكرنا سابقاً أكثر من التخييل، "نحن نقص عليك أحسن القصص"[1]، فكيف كانت أحسن القصص في كتاب الله ولا تكون أفضل الروايات التي كتبت[2]!

3- غلاف الرواية:

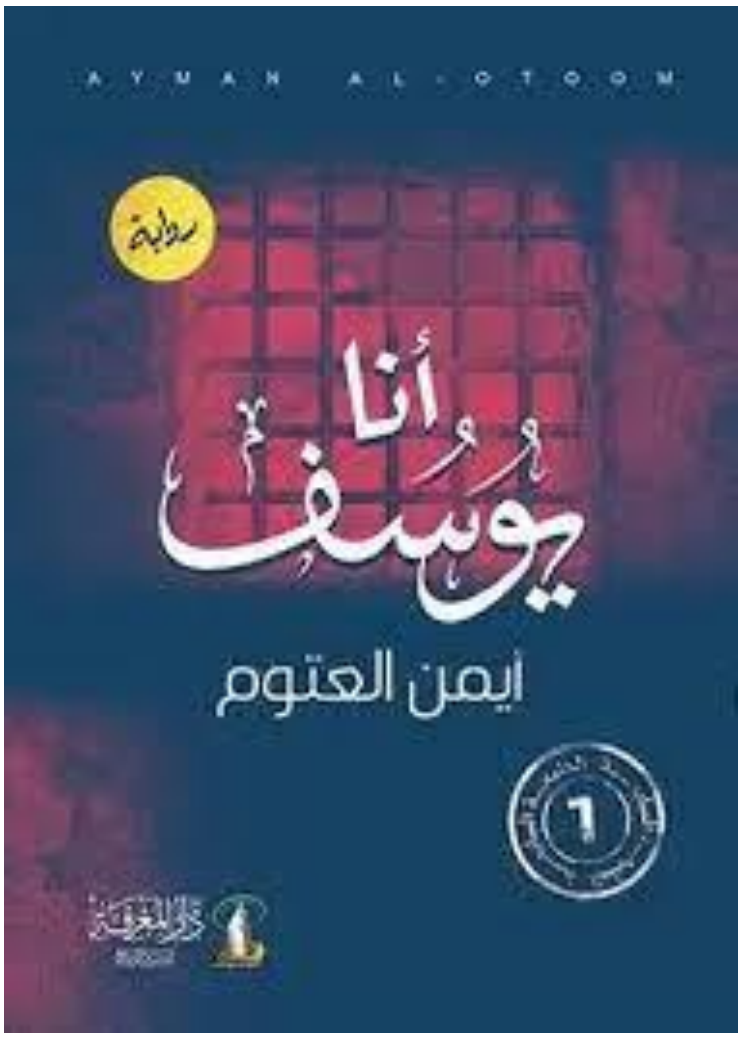

[1] سورة يوسف، الآية 03، رواية حفص عن عاصم.

[2] برنامج حوار خاص مع الروائي والشاعر أيمن العتوم.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم: برواية حفص.

أ- المصادر:

1- ابن كثير: تفسير سورة يوسف، المكتبة العربية للكتب والمعارف، دمشق.
2- الحسن بن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح: دار الكتاب والوثائق القومية، ط1، د.ت.
3- الطُبرسي: تفسير مجمع البيان، مؤسسة التعلمي، بيروت، ج5، ط1، 1995.
4- القرطبي: الجامع لأحكام القرآني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج9، 1985.
5- القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، شرح: محمد خفاجي، ط3، منشورات دار الكتاب.
6- أيمن العتوم: أنا يوسف، دار المعرفة، القاهرة، ط16، 2019.
7- بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم.
8- شهاب الدين النووي: نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: دار الكتب والوثائق القومية.
9- صحيح البخاري، الحديث رقم 3436.
10- عثمان بن سعيد: البيان في عد آي القرآن، مركز لمخطوطات والتراث، الكويت، ط1، 1994.
11- محمد بن مكرم ابن منظور: لسان العرب، تح: أمين محمد عبد الوهاب، ط3، مج: 7، دار إحياء التراث، بيروت، 1999.
12- محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد الستار، ط1، مج: 9.
13- مسلم بن حجاج: صحيح مسلم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1991.

ب- المراجع:

14- ابن عاشور: التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1999.
15- أحمد الزغبي: التناص نظرياً وتطبيقياً، مؤسسة عون للنشر، عمان، 2000.
16- حسن عباس فضل: القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، ط1، دار الفرقان، عمان، 1987.
17- رغد أبو راشد: الإبداع والقراءة في التناص الجزائري، 15 سبتمبر 2022.
18- عبد الله الغذامي: الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، ط4، الهيئة المصرية، القاهرة.
19- علي سليمي وعبد الصاحب طهماسبي: التناص القرآني في الشعر العراقي المعاصر، ط2.
20- فيصل الأحمر ونبيل دادوة: الموسوعة الأدبية، ج1، مؤسسة عون للنشر، عمان، 2000.
21- محمد الجعافرة: التناص والتلقي (دراسات في الشعر العباسي)، ط1، الأردن، دار الكندي، 2003.

22- محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، ط1، التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 1985.
23- موسى ربابعة: التناص في نماذج من الشعر العربي الحديث، مؤسسة حمادة.

ج- المذكرات والرسائل:

24- حلبي سنابل: قصة يوسف النبي عليه السلام في الشعر الفلسطيني المعاصر، رسالة الماستر.

د- المجلات:

25- هناء هلاسة، مجلة حوليات المخبر، التنوير للطباعة والنشر، ط1، 2015-04-03.

*ملحق بالقرار رقم ....1082.... المؤرخ في ..... 27 ديسمبر 2020 .....
الذي يحدد القواعد المتعلقة بالوقاية من السرقة العلمية ومكافحتها

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

د مؤسسة التعليم العالي والبحث العلمي:

نموذج التصريح الشرفي
الخاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

أنا الممضي أسفله،

السيد(ة): ..... بن اسعيد راضية ..... الصفة: طالب، أستاذ، باحث ..... طالبة .....

الحامل(ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 405123951 والصادرة بتاريخ 2023.03.13 .....

المسجل(ة) بكلية / معهد ..... الآداب واللغات ..... قسم ..... اللغة والأدب العربي .....

والمكلف(ة) بإنجاز أعمال بحث (مذكرة التخرج، مذكرة ماستر، مذكرة ماجستير، أطروحة دكتوراه)،

عنوانها: ..... التناص القرآني في رواية أنا يوسف لـ أيمن العتوم .....

..... دراسة في التوليد والتوظيف .....

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه .

التاريخ: 2023.06.14 .....

توقيع المعني (ة)

*ملحق بالقرار رقم ...1082... المؤرخ في ..... 27 ديسمبر 2020 .....
الذي يحدد القواعد المتعلقة بالوقاية من السرقة العلمية ومكافحتها

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

مؤسسة التعليم العالي والبحث العلمي:

نموذج التصريح الشرفي
الخاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

أنا الممضي أسفله،

السيد(ة): ...بن سالم إشراق... الصفة: طالب، أستاذ، باحث ...طالبة...

الحامل(ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 405.123.719 والصادرة بتاريخ 13-03-2023

المسجل(ة) بكلية / معهد ...الآداب واللغات... قسم ...اللغة والأدب العربي...

والمكلف(ة) بإنجاز أعمال بحث (مذكرة التخرج، مذكرة ماستر، مذكرة ماجستير، أطروحة دكتوراه)،

عنوانها: ...التناص القرآني في رواية أنا يوسف لي أيمن العتوم...

...معايير في الشواهد والتوظيف...

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

التاريخ: 2023.06.14

توقيع المعني(ة)

ملخص:

تناولت هذه الدراسة موضوع التناص القرآني في رواية الكاتب الأردني أيمن العتوم والتي عنوانها "أنا يوسف"، وتهدف هذه الدراسة للكشف عن العلاقة التي تجمع النص القرآني بالنص الروائي من ناحية التوارد والتوظيف، وقد أدرجنا مفاهيم عن التناص بصفة عامة وذلك في خطة تحوي فصلين: فصل نظري تحدثنا فيه عن ماهية التناص، وفصل تطبيقي كشفنا فيه عن كيف وظف الكاتب النص القرآني في روايته.

الكلمات المفتاحية: التناص، النص القرآني، قصة النبي يوسف.

Summary :

This study dealt with the topic of Quranic intertextuality in the novel by the Jordanian writer Ayman al Atoum, which is entitled "I am Yusuf", and this study aims to reveal the relationship that brings together the Quranic text with the novel text in terms of transmission and employment. we have included concepts about intertextuality in general, in a plan that contains two chapters: a theoretical chapter in which we talked about what intertextuality is, and a practical chapter in which we revealed how the writer invest the Quranic text in his novel.